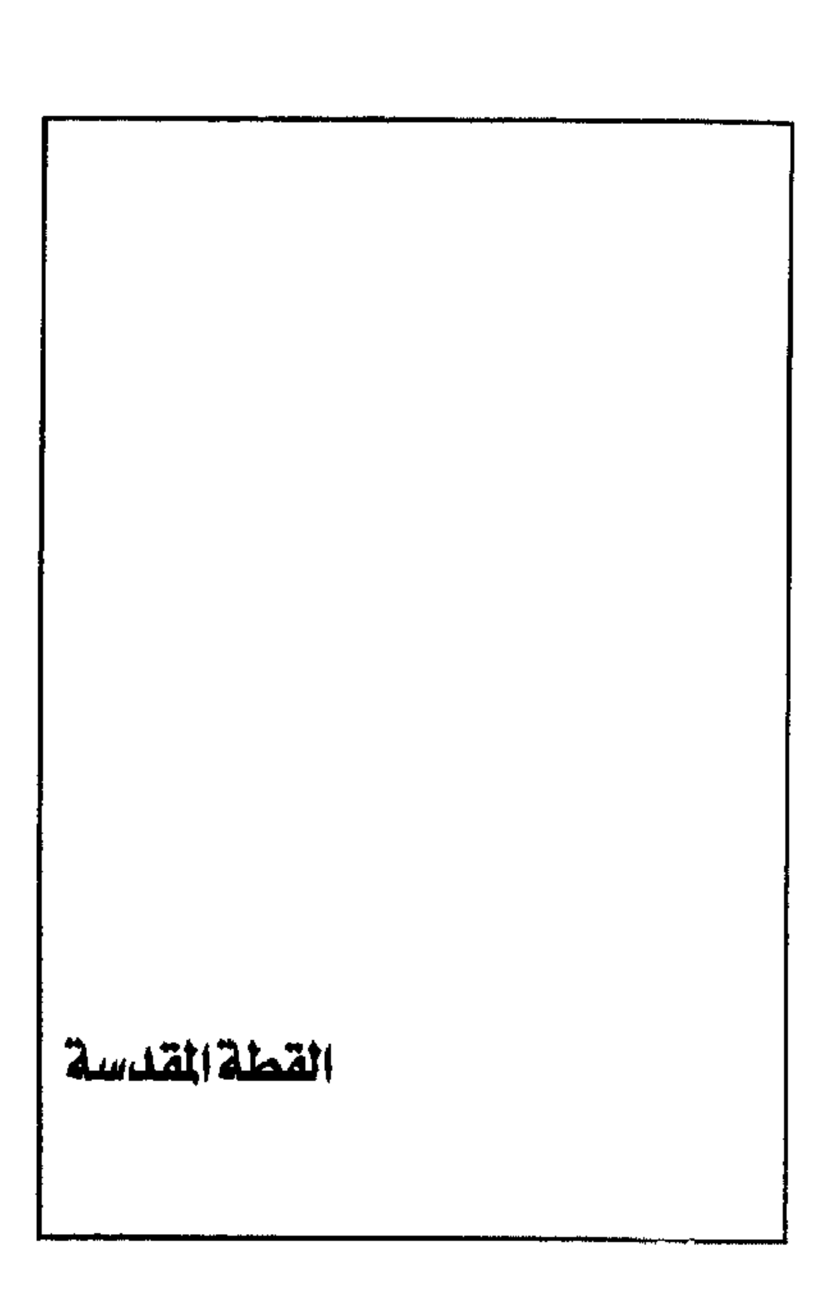


القطة المقدسة

تأليف: ج. هنتى / ترجمة: الشريف خاطر / مراجعة: مختار السويفى



روائع الأدب العالمى للناشئين


القطة المقدسة


تليجرام
هنا
سور الأزبكية

القطة المقدسة

تأليف: ج. هتى
ترجمة: الشريف خاطر
مراجعة: مختار السويفى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

اشراف

حسان كمال

القطة المقدسة

تأليف: ج. هنى

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى:
للفنان : محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد

الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد

المشرف العام :
د.سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د.سمير سرحان

الفصــــل الأول

مدينـــــة الريبـــاس

منذ زمن بعيد كانت توجد مــــدينة عظيمة على الشاطىء الغربى لبحر قزوين . لم تكن مثل المدن التى نراها هذه الأيام ، فقد كانت معظم بيوتها مبنية من الطين والاخشـــاب .. وكانت شوارعها الضيقة تؤدى كلها الى ساحة فسيحة بوسط المدينة .

حول هذه الساحة الفسيحة ، كانت توجد عدة بنايات اكثر ارتفاعا مبنية بالحجــارة يميش الملك فى احداها . لقد كان حاكما للريباس ، الذين يميشون فى المدينة والاقاليم التى حولها .

وفى بنايات أخرى من الحجارة ايضا ، كان يعيش ،

قواد جيش الملك وكهنة المعبد . وكان حول المدينة سور قوى يحميها من هجمات الاعداء .

في يوم صيفى مشرق ، منذ حوالى ثلاثة آلاف عام تقريبا ، امتلأت ساحة المدينة بجمع كبير من الناس . وفى كل لحظة تمر كان يندفع مزيد من الرجال والنساء من بيوتهم للانضمام الى هذا الحشد ، وكان الجميع يتكلمون بأصوات مرتفعة .

ومن حين الى آخر كانت مجموعات من الفرسان تخترق الشوارع الضيقة باتجاه وسط المدينة . كان من الصعب بالنسبة لهم ان يشقوا طريقهم وسط الجموع ، لأن الناس حاولوا ايقافهم وسؤالهم عن السبب فى توجه هذا العدد الكبير من الجنود الى قصر الملك .

خلف مجموعات الفرسان ، كانت تسير فرق الجنود المشاة ، تحمل الدروع والأقواس والرماح .. وكانت ظهور الجنود وصدورهم مغطاة بدروع مصنوعة من جلود الحيوانات . يتبعهم القواد الذين يركبون فى

عربات يجر بعضها حصان ، والبعض الآخر حصانان . كانت دروعهم مصنوعة من شرائح حديدية أو نحاسية تبرق مثل الذهب تحت وهج الشمس .

لكن ما السبب الذى جعل الشوارع تزدحم هكذا ، وعادة ما تكون هادئة آمنة . لا أحد كان يعرف ، رغم أن الكثير من الناس خمنوا أن هنـــــاك خطرا يهدد المدينة .

لقد سمعوا أن جيش مملكة بعيدة قد تحرك منذ عدة أسابيع . وتمنوا أن يتجه هذا الجيش ناحية بلد آخر .

لكن منظر الجنود فى الشوارع فى تلك اللحظة جعلهم يعتقدون ان ذلك الجيش متجه نحو مدينتهم . لم يستطع الجنود اخبارهم بأى شىء . فكل ما عرفوه أن الاوامر قد صدرت اليهم بالتحرك من معسكراتهم والتجمع فى ساحة المدينة أمام قصر الملك .

جلس ملك الريباس فى الصالة الكبرى للقصر المبنى بالحجـــــر ، وحوله القـــــادة والكهان . كان

الجواسيس يجلبون له يوما بعد يوم أخبار تقدم الجيش الكبير تجاه المدينة ، جيش ملك مصر .

كان يعرف تماما مدى قوة وثراء ذلك الملك وأن النصر كان حليفه في كل المعارك التى خاض غمارها ، فقد تقدم ملك مصر الى كثير من البلدان وانتصر عليها ، وحمل معه آلاف الناس الى مصر وجعلهم عبيدا .

فهل حل الدور الآن على ملك الريباس لكى ينهزم ؟ وهل سيدفع بهؤلاء الفلاحين البسطاء المسالمين وصائدى الاسماك الى مصر ليصبحوا عبيدا ؟

كان الجيش المصرى أكثر عددا وأفضل عتادا من جيش الريباس . ورغم ذلك قطع الملك على نفسه عهدا بأن يحارب بكل ما أوتى من قوة ، لينقذ شعبه من ذلك المصير القاسى الذى حل بكثير من جيرانه .

وبناء على ذلك ، انشغل القادة داخل قصر الملك فى اعداد الخطط للدفاع عن المدينة وشعبها . بالخارج كان من الممكن سماع أصوات الجماهير ، تتحرك جيئة

وذهابا ، وكذلك أصـــــوات القادة المرتفعة بالأوامر لجنودهم .

خلف الملك ، وقف أموبا ابنـــــه ، الذى كان فى الخامسة عشرة من عمره ، ولم يبد عليه ادنى اهتمام بما يجـــــرى فى الحجرة ، رغم انه كان يرتدى الزى العسكرى وعلى استعداد للقتال . كان القتال يعنى بالنسبة له ، مواجهة العدو وجها لوجه ، وكم كان متلهفا ان يأتى هذا الكلام الى نهايته ، لكى يبدأ القتال الحقيقى .

وعندما راى والده مشغول الذهن فى اختيار احسن الخطط من بين تلك التى وضعها قادة جيشه ، انسحب بهدوء خارجا من الحجرة دون أن يلحظه أحد عبر فناء القصر الملكى ، ودخل المبنى الخاص بوالدته ، وهو مبنى منخفض ، على مساحة كبيرة .. مقسم الى عدد كبير من الحجـــــرات تنفصـــــل بينهما قواطع من جلود الحيوانات تتدلى من السقف . فى الحجرة كانت تجلس سيدة يبدو عليها الوقار ، هى والدة أموبا . كان الحزن باديا على وجهها لان الملك أخبرها بالخطر الذى يقترب

كل يوم . وكانت تخشى أن تفقد زوجها وابنها اذا ما نشبت المعركة .

ما ان دخل ابنها الى الغرفة حتى تحول الحزن البادى على وجهها الى ابتسامة . كانت على وعى تام بشغفه الشديد ولهفته ، ليظهر انه لم يعد صبيا ، وانه فى شجاعة اى جندى من جنود جيش الريباس .

قال : « ليتهم يكفون عن الكلام ، يا أماه . انا لا يمنيني المكان الذى سنحارب فيه . لقد ظلوا يتكلمون لعدة ساعات . ولم يصلوا الى قرار الا منذ لحظات فقط ، بتحديد المكان الذى يتجه اليه جيشـــــنا لمقابلة الأعداء . وهو يبعد عن هنا خمسة عشر ميلا . سيكون امامنا أرض طينية ، يصـــــعب على عربات العـــدو اختراقها . لكن لو لم يستطيعوا الوصول الينا ، فكيف سنصل اليهم ، كان بودى لو أن القادة قد اختاروا مكانا يسمح لنا بقتالهم رجلا لرجل .

ابتسمت الام وقالت : « اعرف رغبتك الشديدة فى الاسراع بالمشـــاركة فى اولى معاركك ، لكن جيش المصـــــريين اقوى بكثير من جيشـــنا . ومن الحكمة والسهولة بمكان أن ندافع عن المدينة بفرقة صغيرة من الرجال على ان نهاجم جيشا قويا مسلحا بشكل افضل. لان سـهامهم ستخترق أقوى الدروع ، ومقابل كل عربة نملكها ، يمتلك المصريون ثلاث أو أربع عربات » .

ــ « لكن يا أماه ، ان رجالنا سوف يقاتلون للدفاع عن بيوتهم وزوجاتهم واطفالهم . ومن المؤكد أن كل رجل سوف يقاتل حتى يقتل بدلا من أن يتيح لهم الفرصة لاسره ويصبح عبدا » .

ــ « نعم ، أنا على يقين من أنهم سوف يفعلون ذلك . لكن تذكر انك مازلت صبيا وابنى الوحيد . قل لسائق عربتك أن يسترك بدرعه عندما تقابل الاعداء وجها لوجه . أنا لا اتصور فقدانك .

اجابها أموبا : « لا تخشى على يا أماه ، سوف

اعود سالما عندما نطرد المصريين خارج ارضنا ، لكن ، يبدو أنهم انتهوا من كلامهم .لاننى ارى ابى وقـــادته يغادرون القاعة » .

احـــاطت الملكة ابنها بذراعيها وقبلته ، **وقالت** : « اذهب ، يابنى ، قاتل بشـجاعـة ، وعد الينا سالما » .

فصاح الابن وهو يندفع لمقابلة والده : « بالطبع ، سافعل ! » .

الفصـــل الثـــانى

قبـــل المعـــركة

بعد مضى ساعة امتطى الملك صهوة جواده وقاد جيشـه وخرج من بوابة المدينة الكبيرة . وسار خلفه أموبا فى عربة يقودها جندى طويل القامة قوى البنيان، يحمل درعا عريضـا لحماية الأمير . كان الملك قد أصدر اوامره بالا يسمح للأمير بالدخول الى ساحة القتال فى الصفوف الامامية .

قال : « لابد الا يخشى أموبا من الخطـــر ، لكنه مازال صغير السن حتى يقاتل كرجل يافع ضد خيرة الجنود المصريين . واذا قتلت ، سيصبح هو ملك الريباس ، ولهذا لابد من الحفاظ على حياته » .

ثم التفت الى قائد عربة امويا وقال : « احرص على حياة ابنى كحرصك على حياتك ـــ و لاتطعه اذا امرك بالهجوم على المصريين مع العربات الأخرى ! »

واصلت القوات تقدمها ساعة بعد ساعة ، مشاة وفرسان وعربات . وبمجرد غروب الشمس شـــوهد احد جنود الاستطلاع الريباس وهو يقطع السهل على صهوة جواده مقبلا نحو الجيش المتقدم . وما ان وصل حيث يوجد الملك حتى نزل من على حصانه ، وابلغه بأن الجيش المصرى قد انتهى من مسيرته بالنسبة لهذا اليوم ، وأنهم فى هذه اللحظة يعدون معســــــكرا للاستراحة اثناء الليل .

سر الملك لسماع هذه الانباء ، لان جيشـه لم يكن قد وصل بعد الى المكان الذى وقع عليه اختيار قادة جيشه كانسب مكان للمعركة المنتظرة . فهذا التاخير سيتيح الفرصة لجنوده لينالوا قسطا من الراحة بعد مسيرتهم ، عندئذ يكونون أكثر استعدادا للهجوم الذى كان على يقين بانه سيشن عليهم .

وبناء على ذلك أمر الملك جنوده بالتوقف عن السير ، وان يستلقوا على الأرض فى مجموعات لينالوا قسطا من الراحة . وقام هو بنفسه ومعه قادة جيشه بالتقدم الى الأمام لمعاينة الأرض التى ستدور عليها المعركة .

كان هناك مجرى نهر ضيق . ولما كانت الأمطار قد هطلت منذ عدة أيام ، فقد أصبحت الأرض على ضفتيه موحلة جدا . فقد كانت حوافر الجياد تغوص الى عمق كبير اثناء سيرهم . وتبين للملك من ذلك ان عربات المصريين ستجد صعوبة بالغة فى عبور المجرى، لأن عجلاتها ستغوص فى الأرض وتلتصق بالوحل .

على الجانب الأيمن للمجرى كانت توجد غابة كثيفة .. وعلى الجانب الأيسر وعلى مبعدة ميل ، كانت توجد قرية صغيرة . وكلا المكانين من الممكن حمايتهما وحراستهما بواسطة فرقة صغيرة من جنود المشاة .

بهذا يكون الجزء الأكبر من الجيش محصنا بالنسبة للمقدمة بواسطة مجرى النهر ، ومن كلا الجانبين بواسطة الغابة والقرية . ولن يكون فى استطاعة

الجيش المصـــــرى الدوران حول نهايات هذا الخط لمهاجمتهم من الخلف .

عاد الملك الى جيشـه . وكان هو الآخر فى حاجة للراحة قبل الصـراع القادم ، لأن مصـير مملكته وشـعبه يتوقف على نتيجة المعركة .

استلقى الملك للراحة دون ان يخلع أسلحته ، وخلد الى النوم . خيم الصمت على المسكر كله ، ولم يكن يقطعه من حين لآخر ، الا صوت حصان أصابه الأرق أو الهياج ، او صوت اسـلحة جندى يتقلب اثناء نومه .

مرت الســـــاعات ببطء وقبل طلوع الفجر بوقت طويل ، نهض الملك وايقظ قواده . وأمرهم بقيـــادة رجـــــالهم الى الأماكن التى وقع عليها اختيارهم . فانطلقوا ببطء اثناء الظلام .

كان رماة السهام فى المقدمة ، على هيئة صفوف طويلة منتشرة . تقدموا حتى وصلوا الى حافة المجرى تقريبا ، ليمنعوا عربات العدو من العبور خلفهم حاملو الرماح فى وضع استعداد لمساعدة رماة السهام فى

حالة اذا ما اشتد هجوم الجيش المصرى . وفى المؤخرة وعلى بقمة مرتفعة من الأرض تم صف العربات فى خط واحد ، بحيث تكون فى وضع استعداد للتقدم فى حالة نجاح العدو فى عبور النهر .

ومن جهة الشرق بدأت بشائر الفجر اللامعة فى الظهور . وقف الملك على منطقة مرتفعة فى الخلف فرأى سحابة ضخمة من الغبار من على بعد . **فالتفت الى ابنه وقال :**

« ــ لقد جاءتك اللحظة التى تمنيتها كثيرا . فتلك السحابة من الغبار تخفى تحتها أقوى جيش تقدم لقتالنا . يتحتم على الآن الذهاب لقيادة جنودى .. تذكر اننى لو مت ، فستصبح انت ملكا ! » .

بانتهاء تلك الكلمات الجليلة ، التفت الملك وحث جواده للمضى سريعا الى الخطوط الأمامية .

وعندما ارتفعت الشمس فى الأفق استطاع جنود الريباس رؤية جيش مصر العظيم خلال سحب التراب ، بفرسانه ومشاته وعرباته ، يتقدم فى صفوف منتظمة .

وواصل الجيش تقدمه ، حتى أصبح أول صف من رماة السهام يبعد مائتى ياردة عن مجرى النهر .

عندئذ امر الملك حاملى الأقواس ببدء المعركة . ولما كان انتظارهم قد طال لسماع هذا الأمر ، انطلقت سهامهم على الفور تتساقط كالمطر على المصريين المتقدمين ، فتراجعوا الى الخلف . لكن هذا النجاح لم يكن ذا فائدة كبيرة للريباس ، فقد كانت الاقواس المصرية اقوى بكثير من اقواسهم وترسل سهامها الى مسافة ابعد بكثير . ومن مكان آمن بعيد ردا العدو بعاصفة من السهام ، فقتل الكثير من الريباس حملة الاقواس .

ولما كان الملك على وعى بأنه يتحتم عليه الا يهدر حياة أى رجل من جيشه الصغير ، فقد امر رجال الصفوف الأمامية بالتراجع الى الوراء قليلا ، حتى لا يصبحوا فى مرمى السهام المصرية . وظل الجيشان لفترة قصيرة دون تحرك ، ينتظر كل منهما هجوم الجيش الآخر .

الفصـــــل الثـــالث

مقتـــــل المــــلك

كانت توجد خلف صفوف حاملى الأقواس المصريين، صفوف طويلة من الجنود . يتكون كل صف من مائة رجل على الأقل ، وكل رجل يحمل مجموعة من افرع الأشجار ، ثم مروا ببطء عبر الصـــفوف الأمامية .. فاتضح الغرض من حركتهم . فقد كانوا ينوون اعداد طريق لتمر عليه العربات بالقاء أفرع الأشـــجار على الأرض الطينية .

حـــــاول الريباس دفعهم الى الخلف . لكنهم لم يستطيعوا وقف التقدم ، فقد كانت السهام تسقط عليهم بغزارة وبسـرعة . سقط كثير من الرجال جرحى وقتلى، لاصابتهم فى الراس او القلب بسبب السهام المصرية

الطويلة . لم يستطع شيء وقف التقدم المستمر للذين كانوا يمهدون الطريق . فقد كانوا يلقون ما يحملون من أفرع الاشجار ويعودون لجلب المزيد . كانت صفوف جديدة تحتل مكانهم على الفور ، وهكذا تواصل العمل رغم سقوط رجل هنا أو هناك بما يحمله من أفرع الأشجار .

ورويدا رويدا اصبح الطريق أعرض ، واكتشف الريباس انه لن يمر وقت طويل حتى يصبح جسرا متينا يتحمل اكبر العربات واثقلها . ولن يمضى وقت طويل حتى تتحصن صفوفهم بالمجرى . وسرعان ما سيقع القتال وجها لوجه بين أعداد ضخمة . واختلجت قلوب اشجع الرجال من الزيباس ، واحسوا بالخوف من الموت ولو للحظة .

تبين للملك ان هجوم العربات لايمكن ان يقابل برماة السهام وحدهم . فعدل من تنظيم صفوف جيشه .. فجعل حملة الرماح ــ لأن تسليحهم افضل من رماة السهام ــ يتقدمون الى الصفوف الأولى ، لمواجهة القادمين عبر الجسر المصنوع من فروع الأشجار .

وأمكن رؤية العربات المصرية تتقدم ببطء للهجوم . ثم بدأت تسرع أكثر فأكثر ، في حين كان جنود المشاة يفتحون لها طريق . والآن وقدوصلت الى الضفة الأخرى من المجرى أصبحت على استمداد لاختراق صفوف الريباس مهما كان الثمن .

هل بامكانهم أن ينجحوا ؟ . لا شك فى ذلك ، اذا لم يدفع بهم الى الخلف ، لأنه من المحتمل أن يفتحوا ثغرة كبيرة فى جيش الريباس . ثم يندفعون يمينا ويسارا ويصبح فى امكانهم بسهولة تدمير نصفى الصفوف التى تم كسرها .

اذن ما هى أفضل طريقة لصد هذا الهجوم ؟ . أمر الملك رماة السهام بالتصويب على الخيول وليس الرجال . ولا يشرعون فى رمى السهام الا عندما يكون الجسر مكتظا بالعربات . وتعشم الملك بأنه لو تم ذلك ، فان الخيول المصابة المتصارعة من الممكن أن تحدث ارتباكا لا تستطيع العربات معه أن تتحرك . . وعلى ذلك فلا يمكن لحملة الرماح أن يتقدموا ، وتصبح

العربات المصرية ذاتها بمثابة حماية لجيش الريباس ! .

وحانت اللحظة الحاسمة . واصدر الملك اوامره ، فصب الرماة عاصفة من السهام على العربات المتقدمة . وسقط حصان بعد الآخر ، وقد جن جنونه بسبب آلام جراحه .و قفزت بعض الخيول الاخـــرى بين أفرع الأشجار وتسببت فى انقلاب العربات وسقوط سائقيها فى المجرى .

وظل الجسر لفترة قصيرة مكتظا بكتل متصارعة من الرجال والخيول . ولم يكن بمقدورهم الحركة الى الامام أو الخلف . فقط سقط عليهم وابل من السهام المستمرة ، فقتل وجرح الكثير . وبدا أن خطة الملك قد نجحت .

لكن قائد المصـــريين ، الملك العظيم تحتمس ، عندما تبين الخطر ، أمر رماة السهام ان يتقدموا الى ضـــفة المجرى وأن يضغطوا على الخط الاول لجيش الريباس . فامتثلوا للأمر ونفذوه فى تلك الأثناء سنحت الفرصة للمصريين ، الذين عانوا من رماح الريباس ،

ان ينقلوا قتـــلاهم ورجالهم الجرحى والخيول .. واستطاعوا أن يعيدوا ترتيب صفوفهم مرة أخرى بشكل منظم جدا .

بعد ذلك قام تحتمس باستدعاء الفين من احسن جنوده المشاة وامرهم بالتوجه الى المقدمة . فتقدموا بثبات كتفا بكتف والملك على راسهم ، حتى وصلوا الى حافة المجرى . ثم بصيحة واحدة بداوا الهجوم .. وعندما راى سائقو العربات تلك النجدة ، حاولوا مرة اخرى اقتحام الممر بمساعدة جنود المشاة الذين ساروا بمحاذاة عرباتهم .

وتحت غطاء عاصف من السهام المصرية ، تقدم هذا الخليط من الرجال والخيول والعربات عبر الأرض الموحلة . ولم يستطع شيء أن يوقفهم رغم ان الرياس كانوا يحاربون بضراوة دفاعا عن كل عزيز لديهم .

وهكذا انكسرت صفوف الرياس فى مواقع مختلفة .. لقد حاربت مجموعات من الجنود بضراوة ، رغم



هجوم المصريين نحو المدينة

انهم كانوا يهاجمون من الامام ومن الجانبين وحتى من الخلف ، وصــــمموا على بذل حيـــاتهم الغالية رغم ان القتال كان بلا أمل .

تطلع الملك حوله ، وتيقن أن المعركة خاسرة .. وكان أمله الوحيد أن يجمع شمل بعض الفرق التى مازال قوادها محافظين على صفوفهم . وبذلك يســــــتطيع العودة بشكل منظم الى المدينة ، وهناك يتصدى للمرة الأخيرة لكل قوة الجيش المصرى . وعندما استدار لكى يعطى اوامره للقائد الذى يقف بجانبه ، أصابه سهم فى عينه ، فسقط على ظهره ميتا فى عربته !

الفصـــــل الـــــرابع

الدفـاع عن المدينـة

لكن ماذا عن أموبا ؟ . لقد حارب أيضا بشجاعة مثل أى جندى . وفى آخر هجوم للعربات المصرية ، جعل سائقه جيثرو يقترب بعربته من عربة الملك .. وعندما رأى صفوف الجنود تتكسر ، تيقن تماما مثلما تيقن والده أن المعركة خاسرة . ثم رأى والده يسقط خلال الارتباك والفوضى التى حدثت .

قفز من عربته ، وحاول ان يشق طريقه الى الملك .. الا ان جيثرو تذكر أن أموبا تحت رعايته فتبعه على الفور . لكن جثث الموتى والجرحى كانت من الكثرة فأعاقت سيرهما ، فلم يكن بد من العودة .

قال جيثرو : « أنا لا أعرف على وجه اليقين ماذا

حدث لوالدك لقد كان هناك قتال عنيف ، ولما كنت منوطا بحمايتك ، لم تتح لى فرصة المشاركة فيه » .

ـــ « دعنا ننتظر هنا لفترة قصيرة ، ياجيترو .. فأنا ارى بعض عرباتنا خلفنا . دعنا ننضم اليها ونمضى الى المدينة . لكم أكره ان أكون أول شخص يحمل أنباء خسارتنا للمعركة » .

اقترب عدد من العربات ، وتوقفت كلها عندما رأوا أموبا . كان فى احداها أمازيس القائد الأعلى للجيش ، فقفز من عربته عندما رأى أموبا وجاء اليه .

قال : « أيها الأمير ، ما الذى يؤخرك هكذا ؟ . أنا سعيد جدا لأنك نجوت من المعركة ، لأننى رأيتك تقاتل بشجاعة ، لكننى أرجوك أن تسرع بالعودة . فلسوف تدركنا العربات المصرية خلال دقائق قليلة » .

تحركت العربات ووصلت الى المدينة في أمان . وفى طريقهم الى القصـــــــر الملكى قابلوا القوات التى تركوها لحماية المدينة ، تسير فى صمت لتأخذ مواقعها على السور . وأثناء عودة أمازيس فى عربة أموبا أخبره

بنبأ وفاة والده ، فاصبح اموبا مستعدا لسماع البكاء والعويل الذى سيقابله عند دخوله القصر .

قال اموبا لامازيس : « سأذهب للقاء أمى ، بعدها سأذهب معك الى السور . فينبغى ان نثق الآن فى خبرتك وشجاعتك » .

ـ « سأبذل كل ما فى استطاعى : ، أيها الامير . فالاسوار قوية ، وانا آمل ، اذا استطاع جزء كبير من رجالنا العودة الى المدينة ، فأعتقد انه سيكون بامكاننا الدفاع عن انفسنا ضد المصريين » .

انطلق القائد بعربته ، على حين دخل اموبا القصر الملكى . كان جسد الملك مسجى فى اكبر قاعة فوق سرير منخفض مصنوع من الجلود . والملكة تقف الى جواره فى سمت حزين . وتوجه أموبا ليقف بجوارها . فالتفتت اليه وأحاطته بذراعيها .

وقالت : « حمدا للآلهة يابنى ، بعودتك الى ، لكن يالها من خسارة فادحة ، خسارة فادحة بالنسبة لنا ! » .

ـــ « هي كذلك يا أماه . فلم يكن هناك والد أفضل منه . لكنني أتوسل اليك يا أمي ، بألا تطلقي العنان لأحزانك ، فلسوف يكون لدينا الوقت لكي نبكي ونحزن من أجـــله فيما بعد . فنحن الآن في حـــاجة لكل قوانا . فخلال ساعات سيكون المصريون أمام أسوار مدينتنا . سأذهب لآخذ موقعي بين الجنود ، وأفعل ما أستطيع فعله لرفع الروح المعنوية ، والسيطرة على الفوضى التي تعم المدينـــة . وأعتقد ، يا أمي ، أنه بامكانك فعل الكثير اذا أردت ، وأنا متأكد أن أبي في مثواه مع الآلهة ، ليفضـــل كثيرا أن يراك تقومين بالمساعدة لانقاذ شعبه ، على أن يراك حزينه هنا » .

قالت الأم : « ما الذي تريدني أن أفعل ؟ »

ـــ « خذي عربة وقوديها عبر شوارع المدينة ، كوني قدوة لنساء المدينة حتى يفعلن مثلك ويتركن الحزن على موتاهم حتى نهزم العدو .. ادفعي بهن لكي يقمن بجزء في الدفاع عن المدينة ، فهناك عمل للجميع .. أحجار ينبغي أن تنقل الى الأسوار ، طعام يجهز للرجال

جلود تمد وتنقل الى السور حيث تجهز للهجوم ، لكى تكون دروعا لجنودنامن السهام » .

ــ « كلماتك عاقلة ، ياأموبا ، ولسوف افعل كما تقول . مر بتجهيز عربة لى ، وانت فى طــــريقك الى السور . لابد أن تأكل قبل أن تذهب ، لأنك ستكون في حاجة الى كل قواك ، يابنى ! » .

تناول اموبا طعامه الذى وضع أمامه على عجل فى غرفة أخرى ، وبعدها خرج مسرعا الى السور .

تطلع الى الســـــهل من فوق قمة السور ، ورأى الكثير من عربات المضربين . لكن معظم فرق الجيش كله لم تصل بعد ، حيثه كانت توجد فرق من جنود الريباس كانت لاتزال تقاتل بشجاعة أثناء تقهقرها الى المدينة . وعندما حل الظلام كانت قد وصلت الى المدينة أعداد غفيرة من جنود الريباس . وأصدر يامازيس امره بأن يستريح كل الجنود الذين عادوا من المعركة ليلة واحدة ؟ اما الفرق التى ظلت بالمدينة فتتكفل بحراســة الاسوار .

وعندما طلع النهار ، شرعت النسوة مرة ثانية في العمل الذى بدأنه فى الليلة السابقة ، متحذات طريقهن الى الأسوار فى صـــــفوف طويلة ، يحملن السلال المملوءة بالاحجار فوق رؤسهن . حتى الأطفال شاركوا فى العمل ، وحملوا سلالا مملوءة بالاتربة الى أجزاء السور التى امر أمازيس بتقويتها .

الفصـــل الخامس

بدايـــة الهجـوم

كان موقع المدينة قد احسن اختياره ، فهى تقع فوق هضبة صخرية ترتفع عن السـهول بحوالى خمسين قدما . ويحجبها من جهة الشرق بحر قزوين ، أما باقى اضـــلاع المدينة الثلاثة كان يحميها سـور ترابى كسى بالحجارة ، طوله الكلى حوالى ثلاثة أميال .

عند الظهيرة شوهد المصريون يتقدمون ، ورغم ان اهل المدينة كانوا يشـعرون بالأمان خلف الاسوار ، الا انهم ذهلوا من حجم الجيش الذى رأوه فى السـهل . فقد كان يزيد عن ثلاثمائة الف رجل من الأشـداء .

قال جيثرو لاموبا ، الذى كان واقفا يراقب تقدم الجيش : « يبدو وكأنه شـعب بأكمله وليس جيشـا » .

ــ « شيء مذهل في الحقيقة ، ياجيترو . لكن رغم كثرة عددهم ، الا أنهم لن يستطيعوا فعل شيء ازاء اسوارنا » .

ــ « لا يبدو ممكنا بالنسبة لهم ان يستولوا على المدينة ، ايها الأمير ، لكن لا ينبغي علينا أن نكون واثقين من ذلك تماما . فكثير من المدن في مثل قوة مدينتنا قد انهزمت من قبل هؤلاء المصـــــــريين ، ويجب ان نكون مستعدين في جميع الاحوال . وسوف يرينا صباح الغد شيئا . فأولا لابد أن يتفحص قادتهم الاسوار ، ليروا من اين يبدأ هجومهم ، وسيعطون جيشهم يوما للراحة على الاقل » .

وفي المساء كان هناك اجتماع عام ضم كل قواد الجيش والكهنة والشـــخصيات البارزة في المدينة .. وتقرر بعد موافقة أموبا ووالدته ، أختيار أمازيس حاكما للمدينة طالما لايزال الخطر موجودا .

صباح اليوم التالي بدأ الجيش المصرى زحفه ، وتوقف على مسافة غير بعيدة من الاسوار ، في حين

اندفع عدد من الجنود باتجاه أسفل السور الصخرى بحيث لا تصل اليهم السهام .

تساءل امويا وهو يضع قوســـــه الى جانبه : « ما الذى يفعلونه الآن ؟ » .

هز جيثرو راسه وقال : « سوف نرى بعد قليل ـــ انصت ! »

كان هناك صوت دقات تطغى على الضجة .

قال امويا : « فعلا ـــ لكننى لا اتصور ان ينكروا فى قطع الصخور ابدا ! فهذه مهمة صعبة للغاية ، حتى لو اجتمع الشعب المصرى كله » .

لم يعرفوا ما كان يفعله المصـــريون الا بعد مضى ساعة . فعلى حين فجأة ظهرت رؤوس فوق حافة الصخرة المقام عليها السور . فلقد قام المصريون بدق اسياخ من الحديد الصلب من اسفل الى اعلى وبين كل سيخ وآخر ثلاثة اقدام . وهكذا صعد عدد من الرجال الى قاعدة الصخرة ، والقوا بحبال الى اسفل لمساعدة

الآخرين على الصعود . وتدفق بعد ذلك عدد وفير من الجنود ، حتى اكتظت قاعدة الصخرة بهم رغم أن ان مساحتها لا تتعدى بضعة اقدام . أحضر هؤلاء الرجال معهم سلالم طويلة وأسندوها على السور .. وبدأ المصريون يتسلقونها بأعداد كبيرة . كان الريباس مستعدين للهجوم ، وواجه المصريون عاصفة من الحجارة ، وقطع الاخشاب والسهام والحراب . واذا حدث ووصل أى مصرى الى قمة السور هنا أو هناك فكان اما ان يقتل او يقذف به الى أسفل السهل .

واصل المصريون هذا الهجوم لمدة ساعات ، لكنهم فقدوا الكثير من الرجال ، وفى النهاية أمرهم الملك بالتوقف عن الهجوم . عند غروب الشمس لم يبق أى جندى مصرى على السور .

حل الليل ، ولم يحدث فيه أى هجوم آخر . لكن الرجال القائمين على حراسة السور ، أمكنهم سماع

اصوات غريبة آتية من السهل . فعرفوا أن ضــــوء النهار لابد ان يأتى لهم بشكل جديد من اشكال الخطر .

عندما لاح نور الصباح كانت هناك صيحات دهشة وخوفه . فخلال الليل كان المصريون يجذبون بواسطة الحبال قطعا ضخمة من الأخشــــاب والالواح . وكلها كانت مجهزة من قبل وجاهزة للتركيب مع بعضـــها ، لتصبح أكواخا خشبية حتى فى الظلام . وعندما تطلع الناس الى أسفل شاهدوا أربعين او خمسين كوخا أقيمت بمحاذاة أسفل سور المدينة . كانت اسطحها مائلة ، بحيث اذا القى فوقهـــــا شىء ، يتدحرج الى أسفل فى السهل . كان ذلك هو العمل الذى انهمك فيه المصريون اثناء ساعات الظلام .

قال أموبا عندما راى ما فعــله المصــــــريون :
« لكن ما الذى سيحدث بعد ذلك ، ياجيثرو ؟ .. أعتقد أن الرجال الذين اقاموا هذه الأكواخ ، ســـــرعان ما

سيقومون بقطع احجار واجهة السـور . ثم يقومون بسـهولة باختراق الجرف الترابى الموجود خلفها ، ويدخلون المدينة » .

فوافقه جيثرو وقال : « هذا خطر قائم. لكن ليس هناك داع لان نزعج أنفسنا مسبقا . ولابد أن يعرفوا تماما ، انهم لو حفروا ممرا خلال السور فلسوف نندفع ونبيدهم . لكنني على ثقة تامة بأنهم لم يتكبدوا هذه المشقة من اجل لا شيء ! » .

الفصل السادس

سقوط المدينة

كان الريباس متاكدين بأن المصريين لو اخترقوا سور المدينة ، أو نفذوا من تحته بحفر خندق ، فسيكون بامكانهم أن يصدوا هذا الهجوم بسهولة . لذا فلم يعيروا أدنى اهتمام للاكواخ التى اقيمت اسفل السور . وعسكر رجال أشداء خلفه ، كان نصفهم على استمداد دائم لصد أى هجوم مصرى خلال السور . لكن هذا الاحساس بالأمان كان سبب هزيمتهم .

كان المصريون متمرسين على العمل تحت الأرض أو داخل بطون الجبال للتنقيب عن الذهب والأحجار الكريمة . وكانوا يعلمون تماما بأنه لا فائدة ترجى من محاولتهم اختراق السور بشكل مباشر ، ولابد للريباس

ان يتغلبوا عليهم بسهولة . بعد أن حفروا جانب السور بعض الشيء ، اتجهوا للحفر جهة اليمين واليسار وأنجزوا حفرة ضخمة . دعموا سقفها بقطع الأخشاب والألواح التي نقلوها بهدوء في الليلة السابقة .

وكلما زاد حجم الحفرة كلما زاد عدد العاملين بها . كل ذلك ، في حين كان الريباس يظنون أنه لا يوجد سوى عدد قليل من الرجال في تلك الأكواخ ، لكن عند نهاية الأربع والعشرين ساعة ، كان هناك مالا يقل عن مائتي رجل يعملون تحت السور في كلا الاتجاهين للهجوم على المدينة خلالهما . وأصدر الملك أوامره لرجاله بأن يكون كل شيء معدا لدخول المدينة في نهاية اليوم الثالث .

في كل ليلة كان عدد الرجال العاملين يزداد أكثر فأكثر ، وكذلك تزداد مساحة الحفر داخل السور . تم ازالة الأتربة بسهولة بفؤوس حادة قصيرة . وكان الرجال يعملون في صمت تام ، وبالقرب من الجانب الآخر للســـور دون أن يخطر على بال المدافعين أن

المصـــريين قريبون منهم جداً . فى نهاية اليوم الثالث كانت الفتحات قد اتسعت ولم يبق بينها وبين سطح الارض سوى قدم واحد . وقد دعمت أسقف هذه الحفر بألواح الخشب حتى لا تسقط . كانت اثنتا عشرة نقطة جاهزة للخروج منها ودخول المدينة .

وعندما حل الظلام بدأ الهجوم . وأحضر المصريون سلالم طويلة دون جلبة واسندوها الى الصخرة وبدأوا تسلقها قبل أن ينتبه المدافعون لهم . عندما فعلوا ذلك، كان آلاف من المصريين يقفون اسفل الاسوار عند حافة الصخرة ، وهم على استعداد للهجوم .

اندفع الريباس فى تلك اللحظة للدفاع عن السور فالقوا بالحجارة وقطع الاخشاب الثقيلة والحديد فوق المصريين عندما حاولوا تسلق السلالم المستندة على السور . ولم يطرأ على ذهنهم اطلاقا ان يندلع اى خطر من تلك الاكواخ الصغيرة القائمة اسفل السور .

كانت الضجة كبيرة جدا لدرجة أنهم لم يستطيعوا سماع المصريين وهم يزيلون الجزء الذى يفصل الحفر

عن سطح الأرض . خاصة وان الفصائل التى كانت تحرس هذه النقط قد استدعيت للانضمام الى القوات المدافعة عن السور . ولم يلحظ أحد ذلك الطابور المعتم من الرجال الصامتين ، الذين سرعان ما تدفقوا الى داخل المدينة من داخل تلك الحفر .

ارتفعت معنويات الريباس عندما بدا لهم أن الهجوم المصرى قد فشل ، لكن سرعان ما انتابتهم الدهشة من جراء صيحة غريبة من داخل الأسوار ، صيحة سرعان ما ترددت فى الحال من اثنى عشر مكانا مختلفا .. وعندما اندفعوا الى واجهة السور الداخلية ، شاهدوا مجموعات معتمة من الجنود يخرجون بنظام ، وفجاة انهالت عليهم السهام المصرية . ولم يضيع الريباس لحظة فنزلوا من فوق الاسوار لمهاجمتهم .. كيف استطاع المصريون أن ينفذوا الى داخل المدينة ، لم يعرفوا الاجابة على هذا السؤال . كانت كل فرقة

من المصريين تتكون من اربعمائة جندى من الأشـــــداء المقاتلين . واستطاعوا بســـــهولة ان ينزلوا الهزيمة بهجوم الريباس ، الذين قاتلوا ببسالة رائعة .

كانت المفاجأة مباغتة . وازداد عدد المصريين كل لحظة ، بدخول فرق جديدة من خلال الفتحات أو القفز من فوق السور . وخلال الظلام لم يستطع الريباس التفرقة بين العدو والصديق .

خيل اليهم ان الجنود المصريين كانوا يتبثقون من الأرض ويحيطون بهم من كل ناحية . وفى النهاية ، وبعدان فقدوا الأمل ، بدأ الريباس فى الكف عن القتال توجه البعض الى بيوتهم ، والبعض الآخر الى البحر . وسرعان ما امتلأت القوارب الراسية على الشاطىء واندفعت داخل البحر . اما الذين وصلوا بعد ذلك ولم يجدوا وسيلة للهرب فى ذلك الاتجاه . القى بعضهم

السلاح وذهبوا لانقاذ زوجاتهم وعائلاتهم ، وأسرع آخرون بالعودة مفضلين أن يموتوا وهم يقاتلون .

انقضت عدة ساعات قبل ان يتوقف القتال . ولقد عانى المصريون ايضا من الظلام ، ومات كثير منهم بيد زملائهم . واخيرا اشعلوا نارا بجوار بعض البيوت القريبة من السور ، وعندما تجمع المصريون حول حلقة النار هوجموا بشراسة من الريباس . وعندما رأى الملك المصرى عدم استطاعته التقدم اكثر من ذلك ، امر جنوده بأن يظلوا فى أماكنهم التى سيطروا عليها حتى يطلع النهار

الفصـــل الســـابع

اموبـــا عبـــدا

عند الفجر أقبل حشد من النساء من وسط المدينة، وعندما اقتربن من المصريين القين بأنفسهن على الارض وبكين بصوت عال طلبا للرحمة . فقابلهن بعض الضباط المصريين وقادوهن الى الملك .

كان تحتمس انسانا واثقا من نفسه ، فقد قهر مدينة كان كثير من قواده يظنون أنها صعبة المراس . ولما كان قد أضاف الى عظمته والى عظمة مصـــر بهذا النصر عظمة جديدة ، فقد أصبح على استعداد للعفو عنتلك النسوة الضعيفات والأطفال .

سألهن الملك : « هل ألقى جميـــع الرجـــال بأسلحتهم ؟ » .

فاجابت النسوة ، بانه لا يوجد الآن اى رجل مسلح فى المدينة . فقد جمعت كل الاسلحة خلال الليل ووضعت فى مكان مفتوح بوسط المدينة .

فقال الملك : « اذن ، فسأهب الحياة للجميع ، فعندما احارب رجالا جبناء ، لا أبدى حيالهم الا قليلا من الرحمة ، لانهم لا يصلحون للحياة . لكن عندما أحارب رجالا ، فأنا اعاملهم كرجال . والريياس اناس شجعان ، فقد حاربوا ببسالة دفاعا عن مدينتهم ، لذا فأنا أضمن الحياة للجميع ، للرجال والنساء ، والأطفال أين ملككم ؟ »

اجابت احدى النساء : « لقد قتل فى المعركة منذ أربعة أيام » .

ــ « وأين مليكتكم ؟ »

ــ « شربت السم ليلة امس ، لانها قالت انها تؤثر اللحاق بزوجها على ان ترى المدينة تسقط » .

أمر تحتمس بأن يخرج كل اهل المدينة المهزومين الى السهل ويبقوا تحت الحراسة . وارسل رجالا ليفتشوا

القصر الملكى ، فجمعوا كل الاشياء القيمة . ووضع الملك جانبا بعض الجرار المليئة بالذهب من اجل خدمة معابده واختار لنفسه بعضا منها . وبعد ان قام بتوزيع الهدايا على قواده ، امر بتوزيع الباقى على جنوده .

ثم امر باختيار خمسين شـــابا وخمســـين فتاة من العائلات الراقية ، ليكونوا بمثـــابة عبيد يتبعونه عند عودته الى مصر ، كما امر بأن يدفع أهل ريباس قدرا معينا من النقود كل عام الى مصـــر . وأمر الجيش بمغادرة المدينة حتى يتمكن الناس من العـــــودة الى ديارهم .

كان أموبا ضمن الخمســين شابا الذين تم اختيارهم كعبيد . اما القائد امازيس فقد هربه فى الظلام اثناء المعركة الأخيرة عند اســـوار المدينة . واختير جيثرو كذلك ليكون واحدا من تلك المجموعة . وظل أموبا لفترة من الوقت غير حريص على أن يحيا او يموت . فقد كانت انباء وفاة والدته بمثابة ضربة قاصمة بالنســـــبة له . فلقد فقد كل ما كان يحب ، ولم يعد اميرا ، بل

مجرد عبد . لكنه شعر بقليل من الارتياح عندما علم أن جيثرو أصبح واحدا من مجموعة العبيد .

قال : « قد يبدو من غير الصواب أن أسعد لأنك أصبحت عبدا أنت الآخر ، يا جيثرو ، اذ ان البهجة الحقيقية فى وجودك الى جوارى . فلســـوف يكون بامكانى ان اتحدث معك عن أبى وأمى وبلدى ، لأننى أعرفك منذ وقت طويل » .

قال جيثرو : « أنا لم يضرنى انه قد تم اختيارى ، لانه ليس لى زوجة ولا أولاد ، ولم يعد بوســـــــعى الاستمتاع بالحياة هنا خاصة بعد أن هزم الريباس . ربما نجد بعض السعادة فى مصر رغم كوننا عبيدا ، والآن هيا لنســــــاعد رفاقنا ، فمن خلال عملنا هذا سننسى أحزاننا » .

انضـــم امويا وجيثرو الى باقى المجموعة . كان بعضهم يبكى ، والآخر يجلس حزينا . لكنهم اصغوا الى كلمات اميرهم ، عندما حاول أن يرفع الأمل فى قلوبهم .

ـــ « لو ان المصريين رأوا اننا نتحمل متاعبنـــــا كرجال ، فلسوف يعاملوننا معاملة كريمة . تذكروا ان أمامنا رحلة طويلة صعبة ، وسنكون فى حاجة الى كل قوانا . وعلى أى الاحوال ، لن يكون الأمر بالنسبة لنا أكثر صعوبة مما سيكون بالنسبة لأولئك النسوة هناك . لقد تعودنا على السير مسافات طويلة والعمل الشاق ، لكن أولئك النسوة لم يسرن على الاطلاق اكثر من بضعة أميال فقط . وسيكن فى حاجة لعوننا حتى نجعلهن يتحملن متاعبهن ومصاعب الرحلة » .

اثرت فيهم كلمات أمويا كالســــحر . ورغم كونه صغير السن ، ومجرد عبد معهم ، الا انهم نظروا اليه كأمير . لقد جعلتهم كلمته الهادئة المطمئنة يرفعـــون رؤوسهم مرة أخرى ، ويتطلعون الى الامام الى المستقبل المشوب بالأمل ، ومن ثم بداوا رحلتهم الطويلة الحزينة تحرسهم فرق من الجنود من كلا الجانبين .

كانت الامدادات تجمـــع من الاماكن المختلفة فى طريقهم لتغذية الجيش اثناء عودته البطيئة الى مصر .

كان الجزء الأول من الرحلة مريحا الى حد ما ، لأنهم مروا بحقول خضراء واشجار ظليلة . لكن عندما دخلوا الصحراء الواقعة بين جنوب سوريا ومصب النيل فى مصر ، بدأت المصاعب الحقيقية . صحيح انه كانت توجد قرب ماء كثيرة على ظهور الدواب ، لكن القليل منها فقط كان يقدم للعبيد . كانت الشمس شديدة الحرارة ، والغبار الرملى الناعم يتصاعد كسحب كثيفة من تحت اقدامهم ، مما جعل العبيد يقاسون بفظاعة من العطش . وبعد ثلاثة اشهر من هذا السير المروع ، ابتهجت قلوبهم بالحمد لرؤية الخضرة الجميلة لذلك الوادى الذى سيكون وطنهم ونسوا آلامهم ومعاناتهم من تلك الرحلة الصعبة .

وعندما دخلوا ارض مصر ، صدرت الأوامر بتغيير خط السير . فتبع صف العبيد الطويل عربة الملك . كان اموبا مبهورا بتلك المبانى ومظاهر الراحة والثراء . كانت شوارع المدينة الاولى التى دخلوها مكتظة بالناس الذين انحنوا حتى الأرض عندما مر الملك امامهم . فقد وصلت انباء النصر الى مصر منذ فترة واخذ الناس

يهتفون بحياته لعودته منتصـــرا . كانوا يتطلعون باهتمام الى صف الأسرى الطويل ، لانه يحتوى على رجال ونساء من بلد آخر غريب مهزوم ، واحضروا كعبيد .

استمرت الرحلة لثلاثة أســابيع اخرى . ومروا بعدة مدن ، وكانت معابد كل مدينة أكبر واروع من سابقتها . زاد شغف اموبا عندما وصلوا الى مدينة منف ، التي كانت ذات يوم عاصمة البلاد .

ذات صباح انطلقت صيحة فرح وبهجة ، ولان اموبا كان قد تعلم خلال رحلته الطويلة بعض كلمات من اللغة المصرية ، فسأل جنديا عن سبب ذلك .

فاجابه الجندى : « هذه طيبة ، عاصمة مصر ، ونهاية رحلتنا الطويلة المتعبة » .

وعندما اقتربوا من المدينة اندفع الناس لتحية الملك وجنوده . وملأ صوت الموســيقى الجو . واخذت صفوف طويلة من الكهنة طريقها بخطوات بطيئة الى المعابد لاقامة صلوات الشــكر لعودة مليكهم وجنوده ظافرين .

الفصـــل الثـــامن

الكاهـــن الأكبـــر

استمرت الاحتفالات بعودة الملك لعدة أيام ، بعدها تم التصـــرف فى العبيد بأمر ملكى . وهب بعضهم الضباط والقادة الذين أظهروا شجاعة فائقة فى ميدان القتال . والبعض الآخر وهب للكهنة ، فى حين أرسـل أغلبهم للعمل فى المنشآت العامة للبناء والطرق .

أما العبيد ذوو الشعر الأشقر والعيون الزرقاء ، الذين كانوا يشكلون اهتماما خاصا بالنسبة للمصريين ذوى البشرة السمراء ، فقد وهبوا لأصدقاء الملك فارسـلت العديد من الفتيات الى الملكة والاميرات ، وأخريات لزوجات الكهنة والضباط الذين يعملون فى البلاط الملكى ، أما الرجال فقد ارسـلوا الى الكهنة للخدمة فى المعابد .

كانت فرحة أموبا لا حـــدود لها عندما وجـــد أنه وجيثرو ضمن ثمانية ارسلوا لخدمة واحد من المعابد الكبيرة . واثناء ســـــيرهم عبر الشـــوارع المزدحمة بالجمـــــاهير فى طريقهم الى مقرهم الجديد ، **التفت جيثرو الى اموبا وقال :** « يجب ان نتذكر اننا عبيـــــد يا أموبا . والآن ، ينبغى ان نطيع الاوامر ، بعد أن كنا نصدر الاوامر . ومن المفيد اننا قد تعلمنا شيئا من لغة سيدنا الجديد ، حتى يمكننا أن نفهم اوامره ونطيعها فى الحال ، ولسوف يعاملنا برقة اذا نحن لبينا أوامره بسرعة » .

عندما وصلوا الى المعبد ، صفت مجموعة العبيد الصغيرة ، ومر الكاهن الأكبر اميرس ليتفقدهم . وكان رجلا نبيل الطلعة وقورا . وطلب من اموبا أن يتقدم خطوة الى الأمام .

قال له : « ستكون خادمى . ما عليك الا ان تؤدى عملك جيدا ، وسوف تلقى معاملة طيبة » .

القى اموبا بنفسه عند اقدام الكاهن الاكبر **وقال :**

« مولاى ، اذا سمحت لى بالكلام ، ارجوك ان تختار الرجل الذى يقف بعدى . فهو صديق لى منذ أن كنت طفلا ، وقام بحمايتى بدرعه أثناء القتال . واصـــبح بمثابة والد لى بعد أن فقدت ابى . أرجو الا تفرق بيننا الآن . وسوف تجدنا متفانين فى خدمتك » .

استمع الكاهن له بوقار ثم قال : « سيكون لك ما ترغب . فمن واجب كل انسان ان يهب السعادة للذين حوله ، لو كان ذلك بامكانه . وصديقك رجل قوى ذو وجه صادق ، وسوف يتوافق معى مثل اى احد آخر .. اتبعانى الى بيتى » .

انحنى العبيد الآخرون لأموبا عندما اســتدار هو وجيثرو ليتبعا الكاهن .

لاحظ الكاهن ذلك فقال له : « هل كنت شخصا ذا مكانة بين قومك ؟ . لقد انحنوا لك وليس لرفيقك الذى يكبرك سنا » .

فقال اموبا : « انا ابن ملكهم الميت ، الذى سقط

محاربا ضد قواتكم . ولو لم يتم الاستيلاء على مدينتنا ، ولم تحتل بلدنا ، لكنت الآن ملكهم ! ».

فقال الكاهن : « ان تقلبات الحياة غريبة حقا ، لكنى اتساءل لماذا وأنت ابن ملك ، لم يحتفظ بك تحتمس نفسه ؟ » .

قال اموبا : « انا لا اظن انه عرفنى . فنحن لا نعرف تقاليدكم . واعتقد رفاقى أننى من الممكن أن أعدم ، اذا عرف أننى ابن ملكهم ، وهكذا ظل وضعى سرا » .

قال الكاهن متفكرا : « ربما كان ذلك أفضل ، على أى حال ، اعتقد أنه بامكانى القول ، بأن حياتك معنا ستكون سعيدة » .

ثم سأل جيثرو : « هل باستطاعتك أنت أيضا أن تتكلم لغتنا » ؟

قال جيثرو : « استطيع التحدث قليلا ، لكن ليس بنفس قدرة أموبا . فشفتاى فى هذه السن تعجزان

عن تعلم لغة جديدة بنفس السـهولة التى يتعلم هو بها » .

اجاب الكاهن : « أنت تتحدث بما فيه الـكفاية للدرجة التى تفهم بها ما قيل لك ، وسرعان ما سوف تتعلم جيدا جدا » .

عندما انتهى الكاهن من كلامه ظهر عند مدخل بيته فتى فى نفس سن اموبا ، هبط الدرجات مسرعا لملاقاة والده .

قال : « أوه ، يا أبى ! **هل** أحضرت معك اثنين من هؤلاء العبيد الغرباء ؟ لقد شـاهدناهم عندما كانوا يسيرون فى المدينة ودهشنا من لون شعرهم وعيونهم .. ولقد لفت نظرنا أنا وأختى مايسه هذا الصبى ، خاصة وأن شعره بلون الذهب تقريبا . هل سيبقيان معنا ، يا أبى ؟

فأجاب اميرس : « سيبقيان ياشـيرون . لقد أخذتهما من ضمن أولئك الذين أرسلوا لمعبدنا . اخترت هذا الصبى الصغير لأنه فى نفس سنك تقريبا . فمن

المفيد للفتيان أن يكون لهم رفاق من نفس السن ، يكبرون معا ويصبحون أصدقاء . آمل أن تجعل منه صديقا لك . اسمه أموبا ، ورغم أنه الآن عبد ، الا انه كان اميرا فى وطنه ، وكان من الممكن ان يصبح ملكا . تذكر ذلك ، وعامله كما تود أن تعامل لو حدث وأصبحت عبدا فى أيدى أعدائنا » .

فقال الفتى المصرى : « انا متأكد أننا سنصبح أصدقاء » .

فقاد اميرس بهدوء : « لا تخبر أى أحد بأن أموبا كان أميرا فى بلده . لا تخبر أحدا ولا حتى لأمك أو أختك مايسه . فاذا كان هنا سر يراد الاحتفاظ به ، فمن الأفضل الا يعرفه الا القليل » .

الفصـــل التاســـع

الحيوانـات المقدسـة

قادهما الكاهن الى صالة فسيحة عبر مدخل البيت ، حيث كانت تجلس سيدة خلفها فتاتان سوداوان من العبيد ، وفتاة فى حوالى الثانية عشرة ، تقرأ وهى جالسة على كرسى منخفض بالقرب من السيدة . قفزت الفتاة واقفة على قدميها عندما دخل والدها .

وقالت : « أوه ، يا أبى .. » ، لكن الكاهن أوقفها باشارة منه .

قال لزوجته : « عزيزتى ، لقد أحضرت معى الى البيت عبدين ممن جلبهم الملك معه عند عودته . لقد وهب هذين الاثنين لى للخدمة هنا وفى المعبد . كانت لهما أصول طيبة فى وطنهما ، ولسوف نبذل أقصى

ما فى وسعنا لنجعلهما ينسيان هذا التغير الحزين . لقد أخترت هذا الفتى بصـــــفة خاصـــة ليكون رفيقا لشيرون ، اما بالنســــبة للآخر فانا لم أقرر بعد أى واجبات اعهد بها اليه » .

فقالت مايسه : « اعطه لى ، يا ابى ؟ لان فاتيما ليست مسلية ، كما ان الفتاة الاخرى السوداء (دولما) لا تفهم ما اقول لها » .

فسالها الكاهن بابتسامة : « وماهى الفائدة التى تعود عليك من ذلك الرجل الرياسى الطويل ؟ »

قالت مايسه وهى تدير راسها لتتفحص جيثرو : « لا أعرف بالضبط ، يا ابى ، لكننى احب مظهره ، وانا متأكدة ان باستطاعته عمل كل ما يطلب منه . بامكانه أن يســــير خلفى اذا خرجت ، او ياخذنى فى جولة بالقارب فى البحيرة ، أو يلتقط كرتى ، كما يمكنه اطعام طيورى وحيواناتى » .

ـــ « لابأس ، يا مايسة ، سيكون جيثرو خادمك

الخاص ، وعندما لا يكون لديه شىء يفعله اثناء النهار، يمكنه اطعام البط والبجع فى البحيرة الكبيرة ، لان زانبو لا يطعمها بشكل جيد ».

ثم سأل جيثرو : « هل تفهم ذلك ؟ »

كان رد جيثرو ، أن تقدم بضع خطوات الى الأمام وامسك يد الفتاة وانحنى عليها حتى لامسـت جبهته يدها .

فقال الكاهن : « هذه هى اجابة سؤالك يا مايسة .. والآن يا اولاد ، يمكنكم الانطلاق . خذوا رفاقكم الجدد معكم ، واروهم حيواناتكم وطيوركم » .

تقدم الأخ والأخت الطريق عبر ممر الحديقة المليئة بأشجار الفاكهة . وهناك فى آخر الممر ، كانت توجد بوابة تؤدى من خلال السور الى مكان مربع مساحته حوالى خمسين قدما .. وتحت ظل الشجر كانت توجد عشش خشبية . وفى الوسط توجد بركة صـغيرة يسبح فيها بجع ابيض جميل ، وبط زاعق ، بينما تقف على شواطىء البركة طيور جميلة ملونة .

عندما اقتربوا من المكان احدثت الطيور صيحات غريبة ، فقال **شيبرون** : « هذا ليس وقت اطعامكم ، كما تعرفون . انظر ، ياجيترو ، هذا هو المكان الذى نضع فيه غذاء الطيور . » ثم اتجه ناحية بناء أكبر قليلا من سابقيه ، توجد على جدرانه صناديق مختلفة الاحجام .

فتح احد الصناديق واخرج منها عشبا اخضـــــــر طازجا ، **وقال** : « هذا عشب خاص يحضر طازجا كل يوم من المزرعة . اما الصندوق الثانى فيحتوى على قمح وحبوب للطيور . أرجوك يا مايسه تقدمى شيئا منها للطيور ، لانى لا أستطيع سماع نفسى وأنا اتكلم بسبب الضجة التى يصنعونها » .

بعد ذلك اراهما اطباق اللبن والخبز والفطائر المعدة للقطط . كذلك كان يوجد خبز جاف للكلاب ولحم وعظام تقدم لها مرتين أو ثلاثة كل اسبوع ..

وواصل شيبرون كلامه فقال : « اما هذا القفص فنحن نحتفظ فيه بحيوانات صغيرة لغذاء التمساح ،

الذى يعيش وحده . نحن نطعم الحيوانات ثلاث مرات فى اليوم عندما نكون هنا ، لكن عندما نسافر فستكون تلك مهمتك » .

كان يوجد فى العشة الأكبر قليلا ثلاث قطط سمان مستلقيات فى كسل يراقبن صغارهن الذين يلعبون سويا . نهضت القطط ببطء واخذن يتمسحن فى مايسه وشيبرون . لاحظ أموبا ان كليهما ابديا امارات الاحترام والتبجيل عندما دخلا بيت القطط ، كماكان الحال تجاه الكلاب والتمساح ، التى كانت كلها حيوانات مقدسة فى طيبة .

مر عام هادىء سعيد وهما فى بيت الكاهن . كانت واجبات أموبا وجيثرو خفيفة . وعندما كان شيبرون يذهب الى المزرعة ، كان أموبا يرافقه . ولو قام الكاهن وعائلته بزيارة عائلات أخرى ، كان أموبا وجيثرو دائما ضمن مجموعة الخدم الذين يحملون المشاعل لانارة الطريق لهم اثناء عودتهم .

وحسن الخلق ، الا ان آراءه ككاهن اكبر كانت تخالف آراءهم .

لقد كان على يقين تمـاما بأن أوزيريس وايزيس والآلهة الاخرى التى تحمل رؤوس حيوانات ، ليست بآلهة على الاطلاق ؛ انما هى رموز فقط لاظهار قوة وحكمة وغضب ورحمة ، الاله العظيم الأوحد ـ اله من المحتمل أن اسمه غير معروف .

كل ذلك كان معلوما لاميرس ولقـلة متعلمة من الكهنة يكنون له الحب . اما باقى الشعب فى مصر فكان يؤدى الشعائر بثقة وايمان ، الى الآلهة ذات رؤوس الحيوانات والى الحيوانات المقدسـة بالنسبة لهم .

حمل اميرس لواء راى يطالب بانه ينبغى على كل الطبقات الاعلى مرتبة ان تعرف وتفهم حقيقة هذه الآلهة

التى يتعبدون لها . لكن آراءه استقبلت بغضب وخوف من قبل الكهنة وقالوا بان الآخرين لو عرفوا اسرار المعابد ، فسوف تتلاشى قوتهم وتنهار الدولة .

وعندما وجد اميرس انه لن يستطيع فعل اى شىء وحده ، لم يعد يتكلم فى هذا الموضوع ، واستمر فى اداء واجباته الدينية .

الفصـــل العاشـــر

انقـــاذ من المـوت

قال امبريس لابنه بعـــد عـــدة ايام من زيارتهم للحيوانات : « سـاقوم بزيارة وآخذك معي ياشبيرون ، لتفقد الأعمال التى تم تنفيذها فى مزرعتى بمنطقـــة جوشن » .

اجاب شبيرون بفرح لانه لم يبتعد ابدًا اكثر من شمال طيبة : « اشكرك يا ابى ، وكم اود جدا ان اذهب معك . هل يمكن لامويا ان ياتى معنا ؟ » .

فقال الكاهن : « نعم ، كنت افكر فى اخذه معنا ، وجيترو ايضـا يمكنه ان ياتى معنا ، لاننى سـاصطحب معى عددا من الناس . فطالما انا كبير الكهنة يجب ان اتبع تقاليد بلدنا . وحقيقة فان السفر الى جوشـــن

يتطلب هذه الترتيبات . لأن الناس هنـــاك من جنس مختلف عن جنسنا ، ومن الصـــــعب جدا ان نجعلهم يعملون من أجلنا » .

أجاب شيبرون : « لقد سمعت عنهم ، يا أبى ، فهم ينتسبون لنفس سلالة الملوك الرعاة ، الذين كانوا أناسا متعبين . كيف تسنى لهم البقاء فى البلاد فى حين تم طردهم خارجها ؟ » .

ـــ « انهم من نفس السلالة ، لكنهم لم ياتوا معهم ، كما انهم لا ينتمون الى فضائل الجيش المنهزم . انهم جماعة يؤمنون بأن الله واحد وهو خالق كل شيء » .

فى اليوم التالى بدأ الكاهن رحلته الى جوشن هو والمجموعة المصاحبة له ، وواصلوا رحلتهم لمدة اسبوع في النيل في مراكب مريحة حتى وصلوا الى منف حيث بقوا عدة ايام . ومن منف ســـــافروا برا . اميرس وشيبرون فى عربة ، واموبا وجينترو فى عربة اخرى ، اما باقى المجموعة فكانت تسير على الاقدام .

خلال يومين وصـــــلوا الى بيت اميرس ، وكان اصغر كثيرا من بيته فى طيبة .

قال اميرس لرئيس خدمه : « لقد أحضرت ابنى معى ، وأود أن تتاح له فرصة كبيرة للصيد والقنص حتى يقضى وقته فى سعادة » .

فى الصباح قابل شـــيبرون رباح ، الرجل الذى ارسل اليه ليكون مرشده لأفضل أماكن الصيد والقنص .. كانت الترتيبات قد أعدت للقيام برحلة لعدة أيام الى الشمال قرب شواطىء البحيرة الكبرى . تقدم الرحلة اثنا عشر عبدا ، يحملون فوق رؤوســهم الطعام والخيام وكل ما هو ضرورى ولازم لراحتهم . أحضروا حصانا لشيبرون ، لكنه قرر أن يمشى مع أمويا .

وصـــــلوا فى اليوم التالى الى المكان المختار ، وانطلقت مجموعة صغيرة منهم الى شـــاطىء البحيرة للقنص اذ سمعوا بوجود الكثير من الثعالب هناك . ولم يكادوا يتخطون حدود قرية صغيرة حتى سمعوا صرخة عالية .

صاح شيبرون : « ما هذا ؟ يبدو وكانه امراة » .

اسرع شيبرون تجاه الصوت ، يتبعه عن قرب كل من اموبا وجيثرو . جروا لمسافة مائة متر تقريبا على الشاطىء ،فرأوا تمساحا ضخما يأخذ طريقه تجاه النهر ، ويجرجر امراة تصرخ طلبا للنجدة .

ورغم ان التمساح حيوان مقدس بالنسبة لشيبرون ، الا انه لم يتراجع للحظة ، بل اندفع وضرب التمساح على انفه بحربتة . اسقط التمساح المرأة واتجه ناحيته لكن اموبا وجيثرو كانا خلفه وبالقرب منه ، فقاما بمهاجمته . وسرعان ما استسلم التمساح واستدار متجها الى النهر .

وصاح احد الصيادين الذى جاء مسرعا : « احذر من ذيله ! » .

لكن الوقت كان قد فات ، لان أموبا تلقى فى اللحظة التالية ضربة ألقته على الأرض . فدفع رياح حربته خلال جلد التمساح الرقيق بمنطقة خلف الكتف ، وفعل جيثرو نفس الشىء من الناحية المقابلة . توقف الحيوان فى مكانه ، وهو يحرك ذيله بسرعة من جانب الى آخر .

صاح الرجل : « ابق بعيدا ! لقد جرح بشدة ، وليست هناك حاجة لأن تقربه ثانية » .

كان التمساح قد تلقى الضربة القاتلة حقيقة . واخذ ذيله يضرب بسرعة أقل فاقل ثم توقف عن الحركة ، رغم أن التمساح حاول ان يقبض بأسنانه على من هم اقرب اليه . وسرعان ما سقطت راسه على الأرض وماتت .

اسرع جيثرو الى اموبا وساله : « هل اصبت ؟ »

اجاب اموبا وهو يتنفس بسرعة : « كلا ، لا اظن ذلك . لقد أدت ضـــــــربته الى طرد أنفاسى كلها من جسدى ، لكن هذا افضل مما لو كانت الضربة فى ساقى ، فقد كان من الممكن أن تنكسر . لكن ماذا حدث للمرأة ؟ هل ماتت ؟ »

اجاب جيثرو : « لم يكن عندى وقت لرؤيتها .

دعنى اساعدك للنهوض على قدميك . سوف اذهب اليها فيما بعد » .

سارا ناحية شيبرون الذى كان يتطلع الى جسد المراة ، الذى لم تبد عليه اى مظاهر للحياة .

قال اموبا : « خسارة انها فتاة ، وفى عمر أختك ، ياشيبرون » .

قال جيترو : « لابد ان نحملها الى مكان ما ، ونستدعى بعض النساء لمساعدتها . هناك منزل قريب من هنا من المؤكد انها تعيش فيه » .

وطلب من رجلين أن يستدعيا بعض النسوة ، ورفع جسدها الخفيف وحملة الى المنزل .

دخل جيترو الى البيت . كان يجلس فى آخره رجل عجوز جدا ، شعره ولحيته الطويلة فى بياض لون الثلج . **فسأل عندما دخل جيترو :** « ماذا حدث ؟ هل عاود الله أباءنا ضربى فى كهولتى ، وأخذ منى حملى

الصغير ! لقد سمعت صرخة ، لكن ساقاى ضعيفتان ولم أستطيع الذهاب لنجدتها » .

قال جيثرو : « آمل الا تكون الفتاة قد أصـــيبت اصابة بالغة ، لقد سمعنا صرخة فأسرعنا اليها ، لنجد تمساحا ضخما يحملها الى النهر . لكننا سرعان ما جعلناه يسقطها من فمه . لقد أرسلنا لاســـتدعاء بعض النســـوة . آه ! عظيم ، يوجد هنا شىء من الماء » .

الفصل الحادى عشر

شـــيبرون يرســل خطابـا

ارقد جيثرو الفتاة على سرير فى ركن الغرفة ، وأخذ وعاء الماء وبدأ ينثر القليل منه برقة على وجهها ، على حين كان اموبا يدلك يديها . مضت عدة دقائق قبل ان تفتح الفتاة عينيها ، وما ان فعلت ذلك حتى دخلت امراتان الى البيت . فتركوا الفتاة فى رعايتهما وخرجوا .

قال أموبا : « آمل الا تكون اصابة الفتاة اصابة بالغة . يبدو لى من ملبسها انها من قوم غرباء لأنها ترتدى ملابس تشـــبه ملابس المرأة التى رأيناها فى القرية عند مرورنا بها » .

بعد مضى بضـــعة دقائق خرجت احدى المرأتين واخبرتهم ان الفتاة اصبحت افضل كثيرا ، وانها لم تصب تقريبا . **وقالت لهم** : « يبدو أن التمساح امسكها من ملابسها وليس من جسدها ، اسنانه فقط خدشت ساقها لا اكثر . وكم يود جدها أن يقدم الشكر لكم لنجدتها » .

دخلوا البيت ، كانت الفتاة جالسة على الارض عند قدمى جدها وتمسك احدى يديه بيديها . وعندما دخلوا وجدت المرأتان انه ليس هناك حاجة لوجودهما فانصرفتا .

سأل الرجل العجوز : « الى اى منكم انا مدين بحياة حفيدتى ! » .

ـ « أنا شيرون ابن أميرس الكاهن الاكبر لمعبد اوزيريس بطيبة . وهؤلاء اصدقائى ، اموبا وجيثرو من دولة الريبلس ، احضرا الى مصر ويعيشان الآن معنا كعبدين فى بيت أبى » .

قال اموبا : « رغم انه يدعونا أصدقاءه ، الا اننا عبيده في حقيقة الامر » .

قال العجوز : « انه لشيء غريب حقا ، ان يحضر الى ابن كاهن معبد اوزيريس ، ولعل ذلك يجعل ايامي الأخيرة سعيدة، لانني كنت دائما ارفض الانحناء للآلهة المصريين . ولو كان التمساح قد اختطف « روث » ، فربما كان ذلك افضل بالنسبة لها ، لانها ستصبح وحيدة في هذا العالم بعد شروق وغروب الشمس عدة مرات .

ندت من الفتاة صرخة صغيرة ، ونهضت على ركبتيها والقت بذراعيها حول رقبة الرجل العجوز .

ـ « لا مفر من ذلك ، ياروث . لقد عشت مائة سنة وعشرة في هذه البلاد ، والآن حياتي على وشك النهاية . انا أدعوها حفيدتي أيها السادة ، لكنها في الحقيقة ابنة حفيدي . انا كل ما بقي لها في هذا العالم ليس لها اب ولا ام ، ولا جد ولا جدة ، لقد تركنا وحدنا

فى هذا العالم . لكنها تؤمن بالله آبائها ولســـــوف يحميها » .

خيم صمت للحظة ، **ثم قال شيبرون** : « ان ابى حكيم وعالم ، ويقضى فى الامور بعدالة ، كما سيقول لك اصدقائى . وهو يعلم أن قوم يوسف عندما جاءوا الى هذه الأرض لأول مرة ، كانوا يعبدون الها واحدا فقط . لدى أخت فى نفس عمر روث ، وهى فتاة لطيفة عطوفة . وانا على ثقة من اننى اذا طلبت من والدى ان ياخذ روث لتعيش معه فى بيته فسيوافق ، وتكون صديقة ورفيقة لأختى مايســـه .. كما اننى على ثقة أيضـا ، بأنه ســـــوف يتركها تتعبد بالطـريقة التى تريدها » .

تطلع الرجل العجوز طويلا وبثبات ناحية شيبرون **ثم قال** : « ان كلامك طيب ورقيق ، ياسيدى الشاب ، ولك وجه صادق . منذ عدة سنوات قلت اننى افضل أن تموت الفتاة على أن تصبح خادمة عند المصريين ، لكن وهاهو الموت يقترب فقد غيرت رأيى . روث ،

يا ابنتى ، لقد سمعت العرض ، وانت التى يجب عليك أن تقررى . فهل ستذهبين مع هذا الشاب المصرى وتخدمين إخته ، أم تعودين الى قرية أهلنا ؟ » .

كانت روث فى تلك اللحظة قد نهضت على قدميها ، وأخذت تنظر مباشرة الى شيبرون ، ثم تحول نظرها الى اموبا وجيثرو ، وعاد ثانية ببطء واســـــتقر على شيبرون .

وقالت : « أعتقد أن الله قد إختار لى ، وارسلهم الى هنا ليس لانقاذ حياتى لكن لحمايتى ، ان وجوهم صادقة طيبة . اذا قبلنى والد هذا الشاب فساذهب عندما ترحل عنا ، لاكون خادمة ابنته » .

قال العجوز : « هذا شىء طيب . الآن انا على استعداد للموت ، لأن صلواتى قبلت . ولعل الاله يتعامل معك ومعكم ومع المصريين ، بنفس القدر الذى عاملتم به طفلتى » .

قال شيبرون : « الآن سنرحل ، لانك ولا شـك

متعب ، وكذلك روث فـي حاجة لأن ترتاح ، لأن التمساح أفزعها بشكل فظيع .

معسكرنا على بعد ميل من هنا بجوار البحيرة ، وسوف نأتي لرؤيتك غداً » .

لم ينبس أحد بكلمة لبعض الوقت بعد أن غادروا البيت ، ثم قال شيبرون : « سأكتب خطابا لأبى اقص عليه كل ما حدث . وأرسل أحد العبيد به على الفور . ومن الممكن أن يعود غدا . سوف يسعد ذلك قلب الرجل العجوز عندما يعلم أن كل شىء قد تم اعداده . كما سأحكى لوالدى أيضا عن مشكلتى » .

فسأله أمويا : « أية مشـــكلة ؟ فأنت لم تقل لنا شيئا عن أى مشكلة ؟ » .

ــ « ألم تدرك ، يا أمويا ؟ أنا فى مشكلة لأننى ساعدت فى قتل تمساح . وهذا خطأ من جانبى ، لكن ماذا بوسعى أن أفعل ؟ » .

حاول أمويا الا يبتسم .

ــ « ليس بوسعك ان تفعل شيئا ، ياشيرون . اذ لم يكن بوسعك أن تهمس له فى اذنه بانه اخطا بالامساك بالفتاة ، واستخدمت الوسيلة الوحيدة المتاحة لك لتوقفه . والضربة التى وجهتها اليه لم تصبه باذى انما قتله جيثرو والصياد » .

قال شيرون : « أنت لا تفهم ، يا امويا . أنا ادرك أن حياة حيوان ليست فى أهمية حياة رجل او امرأة ، لكن التماسيح حيوانات مقدسة ، وتلحق بمن يؤذيها إضرارا كثيرة » .

ــ « فى هذه الحالة ستقع الأضرار على الناس الذين يعيشون فى هذه المنطقة ، حيث قتل التمساح . وأنا لم اسمع بانه قد حدثت إضرار لهم ، اكثر مما حدث لهؤلاء الذين يعتقدون بان التمساح حيوان مقدس » .

ــ « ربما يكون الأمر كما تقول ، يا امويا ، لكن كما تعرف ، فهناك بعض الآلهة مقدسة بصفة خاصة فى انحاء مختلفة بمصر » .

ـــ « اذن لا تشغل بالك ياشيبرون . فالتمساح ليس حيوانا مقدسا هنا ، لذا فلن يقع عليك اى ضرر . وأنا متأكد أن والدك لن يعير الامر أهمية تذكر ، خاصة وانك لم تسبب ضررا حقيقيا للحيوان » .

كتب شيبرون رسالته ، وكانت رسالة طويلة ثم استدعى رباح وطلب منه أن يرسلها على الفور مع عبد سريع العدو .

بعد الافطار فى اليوم التالى عاد العبد حاملا رسالة من اميرس .

قال شيبرون بسعادة عندما انتهى من قراءة الرسالة : « لقد وافق والدى . كنت أشعر تماما أنه سيوافق . سأذهب الى الرجل العجوز على الفور لأخبره بذلك . لن أكون بحاجة اليك هذا الصباح ياجيفرو ، ويمكنك البقاء هنا مع أمويا ، أو تقوم بالصيد فى البحيرة . فالقارب جاهز » .

توجه شيبرون الى بيت الرجل العجوز . كانت روث فى الحديقة عندما وصل ، فقالت له : « سيسعد

جدي برؤيتك ، ياسيدى لكنه اضعف من المعتاد هذا الصباح » .

ثم قادته الى داخل البيت .

بدأ شبيرون الكلام بقوله : « ابلغتنى روث أنك لست على ما يرام اليوم » .

فقال العجوز : « أنا مندهش ، من أن الذى حدث بالامس لم يقتلنى » .

قال شبيرون : « لدى انباء طيبة لك ، بالأمس بعثت برسالة الى والدى ، وتلقيت الرد » .. ثم أخرج خطابا وقرأ بصوت عال الجزء الذى قال فيه أميرس أنه لا مانع عنده من استقبال روث فى بيته ، ولن يحاول اجبارها على التعبد للآلهة المصريين .

ـ « أشكرك ، أشكرك ياسيدى الشاب . وانا أبتهل الى اله آبائى عله يتعامل معك بعطف ، لكن هل من الممكن أن تبقى روث معى ، تلك الفترة القصيرة المتبقية من حياتى ؟

ـ« بالتأكيد . وقد كتب ابى ما ينبغى عليها عمله ، وارسل نقودا لتدفع ثمن رحلتها النيلية حتى طيبة » .

الفصل الثاني عشر

الاعـــداد للــزواج

ظلت المجموعة يومين آخرين على ضفافه البحيرة للصيد والقنص ، ثم عادت عبر الصحراء الى حيث يقيم أميرس . وقضوا شهرين يراقبون الأرض والمبانى وما تم انجازه من أعمـــــال . فى النهاية وعندما رأى أميرس أن كل شىء على ما يرام ، ترك واحدا من أفضل رجاله لمراقبة سير العمل ، ثم بدأ رحلة العودة مع ابنه الى طيبة .

بعد عودته الى طيبة ، جاءه خادم وقال له ان هناك فتاة تدعى روث ترغب فى رؤيته . أمر الخادم أن يحضرها وفى نفس الوقت أرسل لاستدعاء شيبرون الذى كان يذاكر دروسه .

قال الكاهن الاكبر : « أنا سعيد لرؤيتك يا طفلتى. لابد ان جدك العجوز الذى حدثنى ابنى عنه قد مات ، ولم ترغبى فى تركه وحيدا فى هذه السن الكبيرة » .

أجابت روث : « لقد مات منذ شهر ، ياسيدى . ولم أستطع العثور على قارب ينقلنى الى هنا الا بعد أسبوعين » .

قال اميرس : « شيبرون ، قل لمايسة أن تحضر الى هنا » .

وعلى الفور احضرها شيبرون . كانت تعلم مسبقا بأن الفتاة حضرت لتكون خادمتها الخاصة ، كما انها شغفت جدا بحكاية نجاتها الغريبة من التمساح التى رواها لها شيبرون .

قال اميرس عندما دخلت ابنته : « هذه روث ، يا مايسة .. لقد حضرت لتكون فى صحبتك . لقد فقدت صديقها الوحيد ، وانا أريدك يا ابنتى ، أن تكونى عطوفة معها . وأنت تعرفين ما يمكن أن تقاسيه أنت

نفسك ، اذا وضعت بين أناس غرباء . ستكون عاداتنا غريبة بالنسبة لها بعض الشيء ، لكنك سرعان ما ستجعلينها مزتاحة . أرجو ذلك » .

أجابت مايسه وهي تبتسم لرفيقتها الجديدة : « سأبذل كل جهدي لكي اجعلها سعيدة » .

ثم قالت لروث : « انا متاكدة من انني سأحبك ، وارجو أن يعرف كل منا الآخر بشكل افضل . وانت الاخرى ستحبينني ، لأنه كما يقول والدي ، سنكون مع بعضنا » .

اجابت روث : « انا على يقين من اننا سنصبح اصدقاء ، فأنا لم يكن لي أصدقاء أبدا من نفس سني ، وسأبذل قصارى جهدي لاسعدك ، لأن والدك واخاك كانا في منتهى العطف علي » .

قال اميرس : « اذهبي معها ، يا مايسه . لقد ابلغت والدتك بحضورها . اريها حديقتك وحيواناتك . ثم خذيها الى داخل البيت واشرحي لها ما ينبغي عليها أن تفعله » .

لم تكد تمضي عدة أيام على روث حتى أصبحت فى منتهى السعادة والراحة فى بيتها الجديد . فقد كانت بمثابة الرفيقة والخادمة فى نفس الوقت لمايسه .. كانت تخرج معها فى نزهاتها ـ يتبعهما المخلص جيثرو، وتساعدها فى اطعام حيواناتها ، وكان للفتاتين أحاديث هادئة عن حياة روث عند البحيرة التى تقع بالقرب من البحر الأعظم .

بعد فترة قصيرة من عودتهم من رحلتهم الى جوشن فرض حدث هام جدا نفسه على حياتهم . فقد أصبح شيرون كاهنا فى المعبد . وفى البداية كانت واجباته خفيفة ، لأنه كان مبتدئا ، فكان يقضى معظم وقته فى البيت كالعادة ، ويواصل دراساته .

أصبح بامكانه الآن أن يدخل المعبد فى أى وقت ، ويدلف الى ساحات المعبد والأماكن المقدسة الأخرى التى لا يدخلها سوى الكهان . كانت كل ساحات المعبد مكشوفة ، وكان شيرون يحب أن يتجول فيها عندما يكون القمر ساطعا ، لأنها تكون خالية من المتعبدين

الذين يحتشدون فيها نهارا ، وامام التماثيل الحجرية للآلهة كانت توجد نيران موقدة بصفة مستمرة . ومن حين لآخر كان يمر احد الكهنة بمباءته البيضاء خلال هذه الساحات لمراقبة هذه النيران ، وعادة ما كان شيبرون حرا فى التجول فى اى مكان .

أحيانا كان ياخذ معه أمويا . كانت الأبواب تظل مفتوحة طوال الوقت بالنسبة له ، ولمن يكون معه . ولو حدث وقابلهما احد الكهنة فى الساحات الداخلية فقد كان يظن أن امويا واحدا من خدم المعبد يسير مع شيبرون .

بالقرب من بيت اميرس كان يقع بيت بتايلاس ، الكاهن فى معبد أوزيريس ، والذى يلى اميريس فى المرتبة .

كانت بين الاثنين وشائج صداقة حقيقية ، لكن بقدر ضئيل ، لانهما يختلفان فى الشخصية وفى طريقة تفكيرها . كان رجلا معتدا بنفسه جدا ، ولا يتماطف مع من هم اقل منه مرتبة ابدا ، ويكره اميرس سرا

ويحاول فى مناسبات عديدة أن يروج عنه حكايات غير صحيحة . وكان يتمنى أن يصدقها الملك وبالتالى يفقد الثقة فيه ، فينقل الى منطقة نائية من البلاد ولا يصبح كاهنا أكبر . فى هذه الحالة بالطبع ، من الممكن أن يحل بتايلاس محله فى معبد أوزيريس . لكن بتايلاس لم يفلح فى ايذاء أميرس بأى طريقة ، لأنه كان محبوبا جدا لكل من يعرفه ، ولأن الملك يثق فيه وفى حكمته .

كانت زوجة بتايلاس تعلم كل شىء عن كراهية زوجها لأميرس ، وتبذل كل جهدها لمعاونته فى خططه . فعندما كان يجيىء ذكر اسم أميرس بين صديقاتها كانت تهز رأسها ، بما معناه أنها يمكن ــ اذا أرادت ، أن تحكى عنه أسرارا مرعبة .

كان أميرس من جانبه لا يتكلم فى البيت أبدا عن وجهة نظره فى الطريقة التى كان الناس يتعبدون بها للتماثيل الحجرية للآلهة . ولم تكن عائلته تعرف شيئا عن خلاف الرأى بينه وبين الكهنة الآخرين فى المعبد ، كان يعرف أن زوجته امنيس امرأة معتزة بنفسها ،

لكنه سمح لها ان تتصرف بكامل حريتها ، وتنفق الكثير من المال كما تشاء . لكنه كان حريصا ، مهما كان الأمر ، على الاشراف بنفسه على دراسة شيبرون ومايسه .

وذات يوم بينما كان غارقا فى كتبه دخلت زوجته الغرفة .

قالت : « أرجو الا يكون دخولي قد ازعجك ، يا أميرس ، لكن شيئا هاما قد حدث . فقد كانت نيكوتيس تلك المرأة المتعالية زوجة بتايلاس ، هنا بعد الظهر ، فماذا تتصور أنها قالت ؟

قالت : « ان الامر سيكون رائعا لو أمكن التوفيق لتزويج ابنها بلكسو من ابنتنا مايسه ».

انزعج أميرس وغضب من تلك الأنباء .

وقال : « ماذا ، انها ليست سوى طفلة » .

ــ « كلا يا اميرس ، ليست طفلة الى هذا الحد . فهى فى حوالى الخامسة عشرة ، والزواج غالبا ما يتطلب السن الأصغر » .

لم ينطق اميرس بكلمة . فما قالته زوجته صحيحا تماما . لكن هذا الخبر ، كان مفاجأة غير سارة بالنسبة له .

قال : « على اى حال لو ان مايسه فى سن مناسبة للزواج ، فسوف نفكر فى الموضوع ، لكن ليس هناك داع للعجلة . أما بالنسبة لبلكسو ، فأنا لا تعجبنى شخصيته . فهو مغرور ، غير مهذب ، ووقح . ليس من النوع الذى يمكن أن أهبه ابنتى » .

لم ترض تلك الاجابة زوجته تماما . صحيح انها اتفقت معه فى عدم ابرام هذا الزواج ، لكن لأسباب مختلفة تماما . فقد كانت تأمل أن تزوج ابنتها من شخصيته نبيلة ثرية ذات منزلة عالية ، أو حتى ربما لواحد من أفراد العائلة الملكية . كانت تفكر على هذا النحو لتحصل على المزيد من الثراء والمكانة العالية لنفسها .

ـ « أنا سعيدة لانك ضد فكرة هذا الزواج ،

واتفق معك تماما بالنسبة لابن بتايلاس . لكن ماهى المبررات التي سأقولها لنيكوتيس ؟

فقال اميرس باندهاش : « الأســــباب الحقيقية بالطبع ! فهل توجد أسباب أخرى ؟ »

ابتهجت أمنيس فى سرها ، لأنها أحست بأن رد زوجها من الممكن الا يكون اخبارا سارة بالنســـبة لبتايلاس وزوجته نيكوتيس .. وتمنت أن يكون ذلك بمثابة درس لهم حتى لا يظنوا انفسهم يستحقون هذا الشرف الذى سينالهم بالزواج من ابنتها .

ولو أن امنيس كانت موجــودة لحظة أن أخبرت نيكوتيس زوجها بتايلاس برد الكاهن الاكبر برفض هذا الموضوع ، فاربما شعرت بســعادة أقل .

فقد قال بتايلاس فى غضب شديد : « دعيهم اذن ياخذوا حذرهم ! وســـوف يتعلمون بانه لا ينبغى أن يعاملونا بمثل هذا النحو . فهذا الأميرس الذى يحبه الناس كثيرا ، يتظاهر فقط بالتعبد للآلهة . لو لم يكن

صديقا لتحتمس ، لكان قد طرد من المعبد منذ فترة طويلة . ولتحتم أن اكون الكاهن الأكبر ، لأن ابنه الأكبر نكو ، مازال صغير السن لينال مثل هذا الشرف .. وكلما عاش أبوه مدة أطول ، كلما كانت الفرصة متاحة أكثر ليأخذ مكان أبيه . وخلال عدة سنوات قليلة قادمة تكون فرصتى قد ضاعت » .

قالت نيكوتيس بحزم : « اذن ، لا ينبغى ان يظل أميرس كاهنا أكبر . لقد تحدثنا فى هذا الشأن عدة مرات ، ودائما ما وعدتنى بأن اكون زوجة الكاهن الأكبر يوما ما ، وان يتولى بلكسو ذلك المنصب عندما تموت .

فأجاب زوجها : « أنت على صواب ، يانيكوتيس . ان لدى مجموعة قوية من الاصدقاء فى المعبد ، وهم يشعرون ان أميرس يشكل خطرا علينا بآرائه عن الآلهة . ودون أن تسالينى اية اسئلة ، سوف أكون الكاهن الاكبر . وسوف يتزوج بلكسو تلك الفتاة ، وهكذا يضمن ان يأخذ مكانى عند وفاتى » .

الفصل الثالث عشر

السلالم الخفية

بعد مضى عدة أيام ذهب شبيرون وأموبا الى المعبد عندما كان القمر ساطعا ، ودخلا الى احدى الساحات الداخلية ، ووجدا بابا فى الحائط مفتوحا فتحة غير كاملة . وما أن فتحا الباب حتى شاهدا أمامهما سلالم ضيقة جدا مبنية داخل الحائط .

قال شيبرون باندهاش : « لابد انها تؤدى الى السطح . لم أكن أعلم أن هناك سلالم تؤدى الى السطح ، لأنهم كانوا يستعملون سلالم خشبية طويلة يسندونها الى الحوائط اذا تطلب الأمر ذلك .

ــ « هيا نصعد الى أعلى ياشيبرون . سيكون من اللطيف أن نتطلع الى ساحات المعبد من أعلى السطح فى ضوء القمر » .



تحسسا طريقهما بحذر عبر الدرجات المظلمة

ـــ« اجل ، لكن لا ينبغى أن يرانا احد ، والا قتلنا على أيدى الكهنة . فغير مسموح لاحد ان يتطلع الى الآلهة من أعلى » .

قال اموبا : « سنبقى بأعلى لدقيقة او دقيقتين . فهناك عدد قليل من الكهنة فى المعبد فى هذا الوقت من الليل ، ولن يرانا احد اذا سرنا بهدوء » .

تحسسا طريقهما بحرص شـــديد فوق الدرجات المظلمة . بعد انتهاء درجات السلم ، وجد الشـــابان نفسيهما فى حجرة صغيرة تســــــع بالكاد شخصين واقفين .

قال شبيرون : « لابد ان هذه رأس أحد التماثيل الحجرية ـــ لواحد من الآلهة . ياله من مكان غريب ! لكننى اتساءل عن الهدف من صنعها ، لكن انظر ، توجد فتحة هنا ! »

تطلعا الى أسفل من خلال الفتحة الموجودة بأعلى الحائط فى إحد الساحات . وكان القمر يسطع بأضوائه فى الغرفة الصغيرة من خلال فتحة فوق رأسيهما .

دفع اموبا بيده داخل الفتحة وقال : « يبدو انها تمتد مسافة طويلة الى أسفل ، لكنها تضيق » .

سحب ذراعه ونظر الى اسفل . **وقال :** « هناك فتحة أضيق فى الطرف الآخر . أعتقد ياشيبرون أن ذلك المكان هو قمة رأس أحد التماثيل ، وتلك الفتحة الصغيرة فى النهاية لابد أن تكون حيث توجد الشفتان . الا تعتقد ذلك ؟ »

وافقه شيبرون على ذلك .

واصل اموبا كلامه قائلا : « اذا كان الأمر كذلك ، فأستطيع القول بأن هذه الفتحة صنعت لتسمح للكهنة بالحديث للناس من خلال شفتى الاله ، لابد أن ذلك هو سر المعبد » .

كان شيبرون صامتا . فقد كره فكرة ان الكهنة يخدعون الناس البسطاء بمثل هذه الحيل .

قال : « لابد ان نذهب على الفور ، لقد ارتكبنا خطأ بالصعود الى هنا » .

قال اموبا : « دعنى اتطلع الى الساحة من فوق السطح ، فأنا أسمع بعض الاصوات على ما اعتقد » .

ارتكزا باقدامهما على الفتحة وتسلقا الى السطح وتطلعا الى الساحة فى أسفل .

عند قاعدة التمثال شاهدا سبعة أو ثمانية أشخاص من الكهنة تعرفا عليهم من ملابسهم البيضاء .

قال واحد من المجموعة : « أقول لك لابد من تدميره، وانا على استعداد لقتله بيدى هاتين ، واكاد اشعر أننى اذا فعلت ذلك فاننى أكون قد خدمت الآلهة باخلاص. فأنتم تعلمون جميعا أنه لا يتعبد الى الآلهة بصدق » .

لمس شيبرون اموبا بيد مرتعشة ، وهبطا بهدوء الى الغرفة الصغيرة .

قال شيبرون فى نبرة غاضبة : « انهم يخططون لقتل شخص ما فى المعبد ذاته . سوف أرعبهم حتى لا يقدموا على ارتكاب هذه الفعلة الشنعاء » .

وضع شيبرون فمه على الفتحة وصاح بصوت

وقور : « لا تغامروا بغضب الآلهة ! لا تحاولوا ايذاءه ! »

همس أمويا له : « هيا ، ياشيرون ، لابد أن تذهب ، فربما يكون بعضهم على معرفة بسر هذا المكان ، فيعثران علينا ويقتلانا » .

اندفع الشابان يهبطان درجات السلم ، ومرا من الباب الذى دخلا منه ، وسارا بهدوء فى ظل الجدران حتى استطاعا ان يغادرا المعبد دون أن يلحظهما أحد . قبل ان تعطى اشارة الانذار .

كانا يخشيان ان يكون احد قد رآهما خارج المعبد ، لذا سارا لمسافة بعيدا عن البيت . وعندما تأكدا تماما بأن لا أحد قد تتبعهما ، عادا ثانية الى البيت ووصلاه بعد ان سارا عدة أميال خلال شوارع المدينة الضيقة . فى الطريق تكلما عن الممر السرى الذى اكتشفاه والمؤامرة التى سمعاها . لكن هل يجب عليهما أن يخبرا أميرس بذلك أم لا ؟ اتفقا على أنه من الأفضل أن يلتزما الصمت .

الفصـــل الرابع عشر

مـــــوت نــــكو

في اليوم التالي ، بعد شروق الشمس مباشرة ، طرق أحد الكهان باب بيت الكاهن الأكبر وطلب رؤية أميرس .

قال له : « لدى أنباء سيئة لك ، ياسيدى . ابنك ، نكو ، قد قتل » .

صاح أميرس : « نكو قتل ، لا أستطيع تصديق ذلك » .

ــ « هذا صحيح ياسيدى ! لقد غادر البيت الذى يسكنه مع اثنين من مدرسيه الكهنة ، ليذهب وحده كالعادة الى المعبد . فقد كان منوطا به مراقبة النيران فترة الفجر . بالطبع كانت الدنيا ظلاما عندما غادر

البيت . وعندما لم يصل فى الوقت المحدد بعثنا بخادم له ، فوجده ممددا على الارض ميتا على بعد خطوات قليلة من باب بيته ، وفى قلبه سكين مغروس » .

لم يستطع اميرس أن ينطق بكلمة . وأشار بيده بمعنى أنه يريد أن يترك وحده ، ثم جلس .

لم يكن بينه وبين ابنه الأكبر مثل ذلك الحب الذى كان بينه وبين شيبرون ومايسه . لكن نبأ موته المفاجىء كان ضربة شديدة بالنسبة له ، وجلس أميريس دون حراك لعدة دقائق ، حتى سمع صوت بكاء من داخل البيت ، عرف من خلاله أن زوجته سمعت الأنباء .. توجه على الفور الى غرفتها وحاول أن يواسيها ، لكن دون فائدة .

كادت أمنيس أن تجن من الحزن ، فى حين تلقى شيبرون ومايسه الأنباء بشكل أكثر هدوءا ، لأنهما كانا لا يريان أخاهما الا نادرا خلال السنوات الثلاث الماضية .. كما أنه كان مشغولا للغاية بدراساته فى المعبد ، ولم يكن يبدى اهتماما بالطفلين فى المناسبات القليلة

التى يزور فيها البيت . لكنهما كانا حزينين جـــــدا ومندهشين لوفاته أكثر من حزنهما لافتقاده .

توجه اميرس على الفور الى بيت نكو لمعرفة مزيد من الأخبـــار . ولم يتلق أى شىء كان من الممكن أن يساعده . لقد ظل نكو فى المعبد الى وقت متأخر فى الليلة السابقة لموته ، ولم يعد الى البيت الا عندما نام الآخرون الذين يعيشون معه . ولم يره أحد عند خروجه مبكرا . ولم يسمع صوت صراع أو صرخة استغاثة . من المحتمل أن شخصا ما كان مختبئا بالقرب من الباب وضربه فى ظهره بالسكين .

كان الرأى السائد سواء هناك أو فى المعبد أن أحد الخدم الذين يكرهونه ، قد قام بهذه الفعلة . ولما كان هناك الكثير من الخدم ، ولم يكن أحد منهم يحبه حقيقة، فقد كان من الصعب تحديد أى واحد من الخدم يكون قد قتله .

عندما ذهب شيبرون الى المعبد آخر النهار سمع كل أنواع الحكايات ، منها سماع صوت وقور فى الليلة

السابقة صادر من رأس أحد الآلهة . فساد أعتقاد بأن جماعة من اللصوص قد دخلوا المعبد بقصد سرقة المجوهرات المقدسة وجرار الذهب الموجودة امام الآلهة . وحتى يرعبوا الكهنة الذين يحرسون تلك الأشياء الثمينة أصدروا تلك الأصوات ، لكنهم أكتشفوا وفروا من فوق السور قبل أن يقبض عليهم .

بعد أن عاد شيبرون بتلك الأنباء ، اتفق هو واموبا أن الواجب يحتم عليهم اخبار اميريس بالقصة الحقيقية لما حدث ليلة الأمس . بعد انتهاء وجبة العشاء استدعى أميرس شيبرون الى غرفته .

ـــ « هل سمعت أى شىء فى المعبد ، ياشيبرون، عن تلك الأمور الغريبة التى حدثت الليلة الماضية ؟ . ربما يكون هؤلاء اللصوص هم الذين قتلوا أخاك . هل سمعت عمن أكتشف هؤلاء الرجال اولا ؟ بعضهم يقول انه بتايلاس ، لكن لماذا يتحتم عليه أن يكون هناك فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، هذا ما لا أعرفه . كان هناك أيضا اربعة أو خمسة كهان ، لكن الشىء الغريب

أنه لم يتواجد أحد منهم بالمعبد اليوم أرسلت فى طلبهم لكنهم جميعا قد غادروا المدينة لسبب أو لآخر » .

ـــ « لم أسمع شيئا يا أبى ، لكننى أستطيع أن أقول لك الكثير » .

روى شيبرون لاميرس كيف أنه واموبا قد ذهبا للمعبد فى الليلة السابقة ، وصعدا السلم الموجود خلف تمثال الاله ، وسمعا مؤامرة لقتل شخص مجهول .

قال اميرس بعد ان استمع الى القصـــــة كلها : « هذه حكاية غريبة جدا ، ياشيبرون . لابد أن يكون بتاپلاس وأصدقاؤه هم الذين سمعتهم يتكلمون ، والا لما كانوا غادروا المعبد فجأة هذا الصباح . ليست لدى فكرة عمن كانوا يخططون لقتله، رغم اننى أتوقع أن يكون شخصا مهما جدا » .

قال شيبرون : « الا تعتقد يا أبى ، أنه كان نكو ؟ هذا ما فكرنا فيه انا واموبا عندما ناقشنا ذلك بعد ظهر اليوم » .

قال أميرسي بعد لحظة تفكير : « انا لا أعتقد ذلك ، انا لا اعتقد ان اربعة أو خمسة رجال يجتمعون لقتل شخص فى مثل مرتبته البســـــيطة ، لابد أن يكون شخصا أكثرا أهمية منه » .

قال شيبرون : « انت تعرف ، يا ابى ، أن بتايلاس يامل فى أن يصبح الكاهن الأكبر يوما ما . ربما كان نكو عقبة فى طريقه . ومن المؤكد ان الاختيار كان سيقع عليه حسب التقاليد التى تقضى باختيار الابن الاكبر للكاهن ، اذا كان مناسبا أكثر من غيره . ونكو كان يدرس بجدية ، وكان عمره مناسبا تماما ليخلفك ككاهن أكبر » .

ــ « كلا . اذا كانوا قتلوا نكو . فلقد فعلوا ذلك ، لأنهم اعتقدوا أنه ممن سمعهم . سوف يعودون بعد عدة أيام عندما لا يجدون اى شىء قد قيل عنهم . لكن لا ينبغى عليك ان تذهب الى المعبد الا فى الأوقات التى تتطلبها تادية واجباتك .

فى اليوم التالى لتشـــــييع جثمان نكو الى مثواه الأخير خارج المدينة فى الجبال ، تلقت مايسه ووالدتها رسالة من بوباسطس . فمنذ عدة شهور سقطت القطة المقدسة هناك صريعة المرض وماتت هذه القطة التى يكن لها كل المصريين التقديس . ومهمة العثور على قطة اخرى تحل محلها مهمة صعبة . ليس من المهم أن تكون تلك القطة جميلة وذات حجم كبير ، لكن لابد أن تحمل علامات مميزة . دون هذه العلامات لا يمكن اختيار اى قطة ، حتى لو اضطر الكهنة الى الانتظار سنوات . لذا ، فعندما ماتت القطة المقدسة انطلقت مجموعات عديدة من بوباسطس للبحث فى كل مدن مصر عن قطة تحل محلها .

وحيثما كان يتوقف الكهنة اثناء رحلتهم ، كانت تقدم اليهم قوائم بكل انواع القطط من حيث الحجم والشكل واللون ، يعتقد انها مناسبة . وعندما وصلت مجموعة

من الكهنة الى طيبة ، ارسلت لهم امنيس خطابا به أوصاف بوسى ، قطة مايسه الجميلة . وطلبت منهم الحضور لمعاينة القطة . ورغم ان القاعدة كانت تقضى بان ترسل القطط اليهم فى اقفاص لمعاينتها ، الا ان الكهنة كانت لهم رغبة فى رؤية زوجة رجل مهم للغاية ، وهو الكاهن الاكبر لمعبد أوزيريس .

استقبلتهم امنيس بحفاوة بالغة ، واخذتهم بنفسها لمشاهدة بيت حيوانات مايسة واسعدها تقريرهم للغاية ، فلم يروا قطة فى مثل جمال بوسى ولا كبر حجمها ، ورغم ان العلامات التى تميزها لم تكن مطابقة تماما ، الا انها كانت تماثل كثيرا علامات القطة المقدسة الميتة . ولم يستطيعوا ان يقرروا شيئا بطبيعة الحال ، الا بعد عودتهم الى بوباسطس ، وفحص كل التقارير التي ستحضرها مجموعات الكهنة الأخرى بعد عودتهم من رحلاتهم .

مضت عدة شهور ، ثم وصلت رسالة تفيد بانه قد تقرر من قبل الكاهن الاكبر بان بوسى وحدها تستحق شرف أن تكون القطة المقدسة لبوباسطس . وقررت الرسالة بان الكاهن الاكبر ومعه عدد كبير من الكهنة والخدم سوف يسافرون من بوباسطس عبر النيل لاستلام القطة والعودة بها الى المعبد .

سعدت امنيس سعادة بالغة ، لان ذلك كان بمثابة شرف كبير ، يسعد اى مصرى باختيار احد حيواناته لتكون مقدسة من قبل الآلهة .

الفصل الخامس عشر

قطـة بوباسـطس

لاحظ شيبرون ومايسة لعدة أيام أن الطيور تبدو خائفة من خطر ما ، لأنها ظلت مختبئة بين الشجيرات .

قال شيبرون : « لابد ان يكون هناك شيء ما ، حيوان مفترس يخيفها ، ربما . انظري ! هناك ريش كثير على الارض حولنا ، وبعضه عليه آثار دم . سوف أقوم انا وأمويا غدا صباحا بالمراقبة ومعنا سهامنا وحرابنا ، ونرى اذا كان بامكاننا ان نقتله أو نطرده بعيدا . لو استمر هذا الوضع فسوف نفقد طيورنا » .

صباح اليوم التالي توجه شيبرون وامويا الى الحديقة بعد طلوع الفجر مباشرة واختفيا وسط الأشجار . لم يحدث شيء لفترة من الوقت . ثم فجأة

دوت صرخة مخيفة مفزعة ، وشـــاهدا طائرا كبيرا يهبط ويقبض على احدى البطات الصغيرة .

في اللحظة التي قفز فيها الشـــابان واقفين على أقدامهما ، كان الطـــائر قد ارتفع في الهواء بالبطة الصغيرة ، فصوبا سهاميهما ناحيته ، اصاب ســـهم أموبا الطائر بين جناحيه فسقط ميتا . ورغم ان السهم الذى صوبه شيبرون كان سديدا، الا انه اصطدم بفرع شجرة فتحول جانبا .

اطلق أموبا صيحة فرح وقفز من بين الشجيرات . لكنه توقف والتفت ، عندما سمع صرخة فزع ندت عن شـيبرون . ومما أثار دهشته أنه رأى مسـحة من الرعب الشديد تكسو وجه رفيقه ، الذى وقف كما لو انه تمثال من حجر .

فقال أموبا : « ماذا حدث ، ياشـــيبرون ؟ ماذا حدث ؟

قال شيبرون بصوت خفيض : « الا ترى ؟ »

فاجاب امويا وهو يتلفت حـــوله : « انا لا ارى شـيئا » .

ــ« سـهمى ! لقد اصطدم بفرع شـــجرة ثم ارتد ناحية بيت القطة . لقد رأيته يسقط هناك . لابد اننى قتلتها » .

قبل ذلك بعامين ، كان من الممكن ان يضحك امويا لاصابة قطة بسهم ، لكنه وقد قضى فترة طويلة بمصر، فقد كان يعلم نتيجة فعلة كهذه . فأن تقتل قطة ، فان هذا يعد أفظع شىء يمكن ان يرتكبه مصرى . وبالتالى فان القاتل من الممكن أن يمزق اربا بواسطة الجماهير .

قال امويا : « هناك شـىء واحد فقط من الممكن ان نفعله ، ياشـيبرون لابد ان نحفر حفرة فى الأرض ونخفى فيها القطة » .

ــ« هل ترى ان ذلك افضل شىء ، يا امويا ؟ الا ترى من الواجب أن اذهب لأبى وأخبره » .

ــ « لا أعتقد ذلك ياشيبرون . فبغض النظر عن اى شـىء ، فستكون تلك أنباء مزعجة جدا بالنسبة له

ككاهن اكبر ، بل ومن الممكن ان يرى ان من واجبه ان يسلمك للكهنة الذين سرعان ما يأمرون بقتلك . دعنا اذن نحتفظ بهذا الأمر سرا ».

اتجه أموبا الى بيت القطة بهدوء ، فوجدها ملقاة على الأرض ميتة سحب السهم من جسدها ، واخفاها تحت عباءته وخرج . ثم شق طريقه وسط الشجيرات وحفر حفرة عميقة فى الأرض ، ووضع جسد القطة فيها وأعاد التراب مكانه وسواه بعناية على السطح .

وعاد الى بيت القطة ثانية ونظف بمنســاية آثار الدماء من على الارض . اما السهم الذى استخرجه فقد غسله فى مياه البحيرة .

قال أموبا : « هيا ، ياشيبرون ، كن شـــجاعا ! سأترك باب بيت القطة مفتوحا ، وعندما يكتشفون أنها ليست بالداخل سيظنون انها تتجول بالخارج . يجب أن نعتبر هذا الأمر وكأنه لم يكن » .

فردد شيبرون : « كيف يمكننى ذلك ؟ الأمر بالنسبة لك ، مجرد قطة فقط ، أما بالنسبة لى فهى المخلوق الذى قتلته وهذا جرم كبير ، يفوق أى جرم آخر . فأن تقتل قطة فهذا اثم يفوق اثم قتل رجل بعشر مرات .

اجاب امويا : « ان القطة قطة . وأنا اقدر مشاعرك رغم أن المسألة بالنسبة لتفكيرى مجرد حماقة . هناك آلاف القطط فى طيبة ، دعهم يختارون واحدة أخرى . وأنا أدرك ان هناك خطرا سيقع علينا لو اكتشف الكهنة اننا قتلناها ، ليس أمامنا أمل » .

قال شيبرون : « ليس لك شأن بذلك . وليس هناك مبرر أن تشرك نفسك فى خطر يخصنى » .

ــ « كلا ، ياشيبرون ، كلانا مشترك فى هذه العملية ، فقد كان من الممكن أن يرتطم السهم الذى رميته أنا بفرع الشجرة ، كما حدث معك . ليس مهما ما أعتقده أنا بالنسبة للقطة ، بل المشكلة تكمن فى الناس الذين يعتبرونها الها . ولهذا لا ينبغى علينا أن نقدم لهم أى دليل ، يجعلهم يظنون أن لنا صلة بهذا الموضوع » .

قال شيرون فجأة : « ساذهب لأخبر والدى ، وافعل ما يقوله لى ، فلا طاقة بى لتحمل مثل هذا السر » .

ــ « عظيم جدا ، ياشيرون ، ساذهب أنا لمقابلة جيثرو . بالطبع لن يعنى له رمى قطة بسهم أكثر مما أعنيه ، لكنه سيقدر الموقف . فلو تحتم علينا الهرب فسوف يأتى معنا . أعتقد أنه لا يضايقك أن أتحدث اليه ، يمكنك أن تثق فيه بالنسبة لحياتك » .

اخفض شيرون رأسه وسار فى اتجاه البيت .

عندما دخل البيت توجه مباشرة الى حجرة والده. اغلق الباب خلفه ثم ركع على ركبتيه أمام والده ولمس الأرض بجبهته .

قال اميرس وهو ينحى كتابه جانبا ويقف على قدميه : « ما هذا ، ياشيرون ؟ لماذا تركع امامى ، يابنى ؟ قل لى ، ماذا حدث ؟ »

رفع شيرون رأسه ، لكنه لم يستطع ان يتكلم .

كرر أميرس سؤاله وهو منزعج تماما : « ما الأمر يابني ؟ »

ـــ هذا الصباح ، ذهبت أنا وأمويا ومعنا سهامنا ورماحنا ، لنرمى طائرا مفترسا ، قتل بعض البطات الصغيرة منذ فترة وحلق الطائر الكبير فوقنا ، فرميناه سويا . أصابه سهم اموبا وقتله ، أما سـهمى فقد اصطدم بفرع شجرة وارتد جانبا وسقط داخل بيت القطة ، فقتل « بوسى » ، التى اختيرت منذ يومين فقط لتحل محل القطة المقدسة فى معبد بوباسطس .

اكتسى وجه الكاهن الاكبر بمسحة من الخوف المرعب وتراجع خطوتين بعيدا عن ابنه .

وقال : « يالك من شاب تعس ، فالملك نفسه لا يستطيع أن ينقذ ابنه من غضب الجماهير لو انه فعل شيئا كهذا . »

قال شبيرون : « ليست حياتى هى ما أفكر فيها ، يا أبى ، لكن فى العار الذى سيلحق بك وبأمى واختى » .

اخذ أميرس يتمشى فى الحجرة جيئة وذهابا وهو يفكر بعمق قبل ان يتكلم ثانية ، **ثم قال اخيرا وبصوت هادىء** : « يجب ان نتحمل مارنا ، انما انت الذى يجب أن نفكر فيه ، ان الذى فعلته افظع شىء قد فعلته ، رغم انك كما تقول ، لم تكن تقصد فعل ذلك . لكن ذلك لن يعنى شيئا بالنسبة للناس ، فى حين أن الآلهة ستقدر ذلك . والسؤال هو ، ما الذى ينبغى عمله ؟ اذا حدث واكتشف جسد بوسى » .

ـــ « لن يحدث ذلك ، يا أبى ، لأن أموبا دفن القطة فى حفرة عميقة بين الأشجار » .

فقال اميرس : « لقد فعل أموبا الصواب . سيكون لدينا الوقت لنفكر » .

ـــ« ما قيمة الحياة بالنسبة لى الآن . . ؟! »

اوقفه اميرس ابنه من الكـلام برفع يده وقال : « **ذلك لا يقلقنى الآن** ، ياشيرون . فانا لا انظر الى الامور بنفس الطريقة التى ينظر اليها الآخرون . يكفى ان اقول لك ، بأننى لا اعتقد بأن ما ارتكبته يعد جرما

فظيعا . وينبغى أن نتدبر أفضل شىء يمكن فعله . فلو أنك هربت الآن ، فسيكون بامكانك أن تصـــل خارج البلاد قبل اكتشاف تلك الفعلة . لكن من ناحية أخرى، من المحتمل أن يظن الناس بأنك السبب فى وفاة القطة، وقد هربت من الخوف . ولو بقيت هنا ، فقد يرى الناس أنه لا دخل لك بالموضوع . اذهب الآن ، وانضم الى أموبا ، وابق فى غرفتك كالمعتاد . سوف أراك عندما اتدبر أفضل ما يمكن أن نفعله . كن شجاعا ، يابنى ، فربما يمر الخطر ! » .

الفصـــل السادس عشر

بدايـــة البحـــث

عاد شيبرون وكأنه فى حلم . كان مندهشا من كلمات أبيه الحانية . وقد كان يتوقع تماما أن يطرد من البيت فى غضب .

وجد جيترو واموبا فى حجرته .

قال جيترو : « أنا فى منتهى الحزن لسماع ما حدث ياسيدى . وبالطبع فان فكرة أى أذى بسبب قتل قطة تعد حماقة بالنسبة لى ، لكننى أعرف الخطر الذى يحيق بك بسبب ذلك . لقد حضرت الى هنا مع اموبا ، لكى أقول لك بأنه يمكنك الاعتماد على اذا كنت على استعداد للهرب .

فرد شيرون : « اشكرك يا جيثرو ، فى الوقت الحاضر لا أعرف ماذا سأفعل . لقد قابلت والدى واخبرته بكل شيء ، وسوف يقرر ما سوف أفعله » .

قال اموبا : « لن يتخلى عنك ، اعتقد انه لن يتخلى عنك ، فأبوك رجل حكيم ومثقف ، ويعلم أن الآلهة لا يمكن ان تغضب حقا ، لأنها تعلم انك لم تقصد شرا » .

دخل خادم الحجرة واخبر شـــيرون واموبا أن أميرس يرغب فى الحديث اليهما .

قال عندما وقفا امامه : « لقد ارسلت لكما أنتما الاثنين ، رغم ان أموبا لم يرتكب اى خطأ ، ذلك ان أهالى طيبة سوف يتبنون عدة آراء مختلفة » . وتوقف عن الكلام ، كما لو أنه توقع ردا ، **فقال اموبا بهدوء :**

ـــ « أنا على استعداد للبقاء مع شيرون ، سواء قررت أن تعلن الأمر على الملأ صراحة او فضلت أن نحاول الهرب » .

أحنى أميرس رأسه فى أسى ثم نظر الى ابنه .

فقال شيبرون : « ابى ، رغم اننى على استمداد لطاعتك فى ذلك الأمر او اى امر آخر ، الا اننى ارجوك ان تسمح لى بتسليم نفسى . فأنا كاهن ومن واجبى ان افعل ذلك » .

قال اميرس : « لقد توقعت ذلك منك ، ياشيبرون وانا سعيد لأسمعك تتحدث على هذا النحو . ولو اننى اعتقدت كما اعتقدت انت ان قتل قطة عمل فظيع ، لكنت قلت لك سلم نفسك على الفور . لكننى لا ارى الأمر كذلك » .

تطلع شيبرون الى والده فى دهشه . فهو لا يكاد يصدق انه قد سمع كلماته حقا .

ـــ « لطالما كنت تسألنى عن الآلهة ، يا شيبرون ، ولم اعطك اجابة . اما الآن فيجب على أن أفعل . لابد ان تفهم ان آلهتنا هى مجرد تماثيل فقط تم اختيارها لتظهر بطريقة أو بأخرى مظاهر قوة الاله الواحد العظيم . هذه التماثيل لا حياة فيها ، كما يعتقد معظم الناس . وعندما نقوم نحن الكهنة بالتعبد أو تقديم

العطايا فى المعبد ، فنحن لا نتعبد أو نهب أى شىء للتماثيل ، بل الى الاله الواحد الاعظم الذى تشمل قدرته كل شىء ، وهكذا ، ترى أنه ليس هناك خطأ فيما نقوم به فى المعابد ، رغم أن هذا المعنى غير مفهوم بالنسبة للكثيرين . فالعامة يتعبدون للتماثيل ذاتها ، أم نحن فلا » .

ثم واصل كلامه : « وهكذا يابنى ، ليس بك حاجة لان تخشى من انك اغضبت الآلهة بقتلك لهذه القطة . وبوباسطس نفسها مجرد تمثال من الحجر تظهر احدى قدرات الاله الأوحد الأعظم .

صاح شيبرون وهو يركع على ركبتيه امام اميرس ويقبل يده : « أوه ، يابى ! كم انت عظيم . لقد وهبتنى الحياة . أنا على استعداد الآن للهرب ، اذا كنت ترى ذلك أفضل ، أو أبقى هنا وأواجه الخطر » .

عندما عاد شيبرون وأموبا الى حجرتهما لم يتكلما عن قتل القطة ، أو الخطر الذى كان يتزايد ، لكن فيما قاله أميرس لهما .

قال شـــــيرون وهو فى طريقه الى حجرته :

« شىء رائع . الآن عرفت الحقيقة فقد كان من الصعب على أن أصدق بأن كل هذه التماثيل الموجودة فى المعابد آلهة . لقد اتعبنى التفكير فى ذلك الأمر . لم استطع ان أتصور ان تكون آلهة حقيقية ، رغم اننى لم اشك فى ذلك ابدا . يخيل الى الآن ان كل الناس يعيشون فى نوع من الحلم ، لماذا ينبغى على كل هؤلاء فى مصر الذين لديهم الكثير من المعرفة يسمحوا لعقولهم أن تظل فى مثل هذا الظلام » .

عندئذ اندفعت روث فجأة داخل الحجرة .

ـــ « لقد اختفت بوسى ! عندما عدنا من نزهتنا توجهنا لرؤية الحيوانات ، فوجدنا باب بيت القطـــــة مفتوحا ، والقطة قد اختفت . ومايســـــة تطلب منكما الحضور فورا للبحث عنها . لابد أن أجمع كل النساء في البيت ونشترك فى البحث » .

سرعان ما انتشرت أخبار اختفاء بوسى بين خدم البيت . وتوقفت حركة البيت ، وبدأ كل عبد ورجل

وامراة وفتى وفتاة ، البحث فى الحديقة ، يفتشون كل شجيرة وشجرة وينادون على القطة الضائعة .

خرج اميرس نفسه ، وعندما سمع ان القطة لم يعثر عليها ، أمر الرجال بالبحث حول البيت . وارسل بعض النسوة الى جيرانه ليخبروهم بما حدث ويطلبوا منهم البحث فى حدائقهم » .

استمر البحث طوال الليل دون جدوى . لأن امويا كان اخفى بعناية شديدة كل معالم ما قام به .

وفى صباح اليوم التالى ساد شعور بالحزن والخوف .وبدأ الناس يتهامسون ، بانه ربما يكون كلب قد قتلها ، أو ان تمساحا كان يشرب من البحيرة قد افترسها . ولم يخطر ببال احد للحظة ، بأن رجلا هو الذي قتلها ، لانه لا يوجد مصرى يجرؤ على مثل هذه الفعلة .

الفصل السابع عشر

فى المزرعـــة

مرت الأيام حتى ساد اعتقاد عام بان القطة ماتت. وحزن أبيرس وعائلته وكل فرد فى البيت على فقدانها كما كانت تقضى التقاليد بذلك . فالبيت كله ، وبكل من يعيش فيه قد شمله هذا العار .

وبمرور الأيام زاد الشعور بالكراهية ضد العائلة، فكانت الجماهير تحتشد حول البيت ، وتتصاعد منها صيحات الكراهية من وقت لآخر حتى عندما كان الكاهن الاكبر يمر خلال الحشد فى طريقه الى المعبد ، كانت ترتفع الأيادى الغاضبة تجاهه ، ورغم ذلك لم تجرؤ يد أن تمتد اليه . وحاول شيبرون أكثر من مرة ان يقنع اباه بالسماح له ان يخبر كل الناس بالحقيقة .

ـــ « أنا لست خائفا من الموت ، يا أبى . لابد أن تفكر فى مايسه وأمى . اننى أخشى الآن من ذلك الخطر الذى يحوم فوقكم أكثر من خوفى من الموت » .

لكن أميرس لم يكن يصغى لهذا الكلام .

ـــ« أنا لا أدعى أنه ليس هناك خطر ، ياشبيرون لقد ظننت فى البـــداية أن الأمر من الممكن أن ينسى سريعا ، لكننى كنت مخطئا . ان سبب كل هذه المتاعب هو اختيار بوسى لتكون القطة المقدسة لمعبد بوباسطس .. وقد استغل بعض أعدائنا ذلك الوضــــع لاثارة كراهية الناس ضدنا . ربما أكون مخطئا ، لكن أخشى ما أخشاه أن يكون بتايلاس هو عدونا . وأنت تعرف أنه عاد الى طيبة ، ويبدى الآن مظاهر صداقة أكثر من ذى قبل . ولا أستطيع أن أقرر عما اذا كان واحدا من المتآمرين الذين سمعتهم تلك الليلة فى المعبد . لقد فكرت فى البداية أنهم يخططون لقتلى أنا . والآن أنا على يقين من ذلك . فبتايلاس يستطيع بســـهولة أن يجعل الناس تصدق أنى على معرفة بما أصاب القطة

المقدسة . لقد اقترح جيثرو على بالأمس ان ينقل جسد القطة ويخفيه بعيدا عن البيت تحت بعض الأحجار . لكن ذلك ، على ما أعتقد يظل أمرا بالغ الخطورة » .

لم يخبر اميرس شيبرون بكل الحديث الذى دار بينه وبين جيثرو .

فقد قال له : « اسمع ياجيثرو . بالنسبة لنفسى فأنا لا أهتم باى شىء . فأنا لم أوذى احدا ، ووهبت حياتى كلها للفقراء . لكن يجب على أن أنقذ شيبرون ومايسه ، من المحتمل أن العامة فى سورة غضبهم قد لا يؤذون امرأة ، لكن من الممكن أن تقع مايسه بين أياد شريرة . فى هذه الحالة ، لا أستطيع أن أفعل لها أى شىء . وأنا اعتمد عليك يا جيثرو فى انقاذ شيبرون وأموبا ، لأننى أخشى عليهما من الخطر . ولذلك ، لو حدث شىء ، فيجب ان تهربوا . أنا أعلم أن حبك لابن مليكك الراحل ، سوف يجعلك تواجه اى خطر لحمايته، فقم بحماية شيبرون أيضا ، ورعايته كما تقوم برعاية أموبا » .

فاجاب جيثرو : « أعدك بذلك ياسيدى ، من كل قلبى . فهو يعامل اموبا كشقيق له منذ اللحظة الأولى التى جئنا فيها الى هنا ، سوف احميه كما لو كان ابنى » .

قال اميرس : « انا متأكد تماما من ذلك ، واثق فى رعايتك له . لقد أودعت مبلغا من المال عند رجل يدعى شيجرون . وشيبرون يعرفه ويمكنك ان تثق فيه .. اره هذا الخاتم وسوف يقوم باخفائكم لمدة أيام ، حتى تستعدوا لبدء رحلتكم . يجب أن ترحلوا جنوبا ، لأن الناس لن يفكروا فى البحث عنكم أبدا فى هذا الاتجاه . سوف يعتقدون انكم ستحاولون الهرب اما عبر البحر أو الصحراء الشـــرقية ، اوربما تحاولون الوصــــول الى إهل المنطقة الغربية ، ثم تهربون بمساعدتهم عبر البحر الأعظم » .

وبعد مضى يومين ، أرسل أميرس كلا من شيبرون واموبا الى المزرعة البعيدة وطلب منهما البقاء هناك حتى يرسل لهما .

قال شيبرون : « الن تاتى انت معنا ايضا ، حتى تنتهي تلك المتاعب ، يا ابي ؟ » .

ـــ « أنا لا اســـتطيع التخلى عن واجباتى ، ياشيبرون ، ولن يكون ذلك فى صالحى ، اذا قمت بذلك . فانا على يقين من أن اعداءنا الذين لا يجرؤون على مهاجمتنا بشـــكل علنى ، يثيرون كراهية الناس ضدنا . تذكر أننى وضـــعتك تحت رعاية جيثرو ، وسوف تجد فى أمويا صديقا واخا . والآن وداعا ، يابنى . وارجو ان يباركك ويرعاك الاله الاعظم المهيمن على كل شىء ! » .

وهكذا انطلق أمويا وشيبرون فى تلك الليلة بهدوء عبر شوارع المدينة ، يتبعها المخلص جيثرو عن قرب فى طريقهم الى المزرعة . وفى الظلام ، شاهدوا ملامح غير واضحة لخمسة او ستة اشخاص . كانوا يحتمون فى ظل الأسوار ، ويتبعون خيولهم عن بعد . التفتت امويا خلفه ونادى جيثرو ليكون الى جواره .

قال : « هناك من يتبعنا ، يا جيثرو » .

فقال جيثرو : « نعم ، ياسيدى ، فقد لاحظت ذلك فعلا . لكننا سنتعامل معهم فيما بعد . لن يجرؤوا على مهاجمتنا الآن ، لاننا مسلحون جيدا ، ولقد ارسلوا فقط ليتاكدوا من اننا لن نهرب » .

واصلوا سيرهم ، حتى وصلوا الى المزرعة .. واختفى الرجال الذين تبعوهم فى الظلام . وظلوا عدة أيام فى هدوء ، فى حين كان جيثرو يذهب كل يوم الى المدينة ليعرف ما كان يحدث .

الفصل الثامن عشر

العثــور على القطــة

مساء اليوم الخامس لهم فى المزرعة ، وصــــــل جيثرو فجاة الى البيت فقفز الشـــــابان واقفين على أقدامهما عندما دخل ، لانهما شعرا بان شيئا فظيعا قد حدث . كان وجهه مغطى بالدماء ويتكلم بالكاد لانه جرى مسافة ستة اميال ، وهى المسافة بين المزرعة والمدينة دون أن يتوقف لياخذ نفســه .

قال : « بسرعة ، ياسيدى ! ليس هناك دقيقة لكى نضيعها . كل شىء قد انكشف ، ولسوف يكونون هنا حالا للبحث عنا » .

فصاح شبيرون : « ماذا عن أبى ؟ »

ــ « ساخبرك عنه فيما بعد ياسيدى . ليس هناك

وقت للكلام ، لابد من تنفيذ اوامره . ايوجد احد من الذين تبعونا الى هنا ؟

ــ « واحد منهم جالس خارج البوابة . لم ار اكثر من واحد منذ ان حضرنا الى هنا !» .

فقال جيثرو وهو يقبض على هراوة ضخمة من ركن الغرفة : « خذا رمحيكما واتبعانى » .

كان الظلام لحظتها قد بدا يتسلل ، وبينما كان جيثرو يمر عبر البوابة هو وصاحباه ، اقترب الرجل الجالس عند البوابة ليرى من هم . ودون كلمة قفز جيثرو الي الامام وانهال بهراوته على راسه بكل قوته، فسقط على الأرض دون صوت .

قال جيثرو وهو يضحك عندما انطلق عدوا الى المدينة : « لن يكون بامكانه ان ينبه الآخرين » .

لم يسلك الطريق المعتاد ، لكنه جرى عبر الحقول تجاه سفح الجبل القريب من المدينة .

فساله امويا اخيرا : « الى اين انت ذاهب ؟ » .



وانهال جيثرو بالهراوة على راسه

ـ « أنا ذاهب الى شيجرون ، فقد اتفق معه اميرس على اخفائكما فيالوقت الحاضر » .

سرعان ما وصلوا الى البيت القائم عند أسفل التل . تقدم جيثرو وطرق الباب ، فخرج اليه خادم . قال له جيثرو : « أعط هذا الخاتم لسيدك ، وقل له انني يجب أن اتحدث اليه » .

لم تمض دقيقتان او ثلاثة حتى خرج شيجرون نفسه والخاتم في يده .

قال عندما عرف السبب في مجيء جيثرو : اتبعني ياسيدى . لقد اعددت كل شيء ، فقد قال لى اميرس انه باستطاعتي أن اثق في الرجل الذى يحضر هذا الخاتم » .

قادهم شيجرون داخل البيت وخرجوا من باب آخر في مؤخرة البيت . فوجدوا أنفسهم في الخلاء مرة أخرى ، وتطل عليهم صخرة عالية ، تقدمهم شيجرون لمسافة ما ، ثم توقف عند فتحة في نفس تلك الصخرة .

وقال : « هذا المكان حفر لرجل ثرى من طيبة منذ عدة اعوام كان ينوى ان يكون مقبرة له ولعائلته . ولا ادرى ماذا حدث له ، اذ ان هذا المكان لم يستخدم على الاطلاق . لقد قمت سرا بتخزين بعض الاشياء التى قد تحتاجون اليها ، وارجو لكم اقامة مريحة » .

اراهم شيجرون كل شىء ووضع مصباحه على المنضدة **وقال** : « لما كنت لا اعرف موعد حضوركم ، فبالتالى لم أستطع اعداد بعض الطعام لكم ، لكننى سأحضر لكم بعض الطعام » .

قدم له شيبرون الشكر ببضع كلمات قليلة ، ولم يستطع قول المزيد لانه كان حزينا للغاية . وعندما رحل شيجرون التفت **الى جيثرو وقال** : « والآن يا جيثرو ، قل لى كل شىء ، هل مات أبى ؟ »

فرد جيثرو : « لقد مات فعلا ، ياشيبرون . لقد قتل والدك النبيل على يد الجماهير المجنونة بالغضب تغذيهم كراهية الكهنة .

وواصل كلامه : «كنت في الحديقة ، عندما سمعت ضجة خارج البوابة . وعندما وصلت الى هناك اندفع جمع من الناس الى الحديقة . وبمجرد أن وصلوا الى البيت **خرج اليهم والدك وقال** : « أيها الناس الطيبون ماذا تريدون ؟ » .

ولزم الذين كانوا يقفون أمامه الصمت للحظة ، أما الذين كانوا يقفون خلفهم فقد أخذوا يصيحون : « أين القطة المقدسة ؟ لابد أن نجدها » .

فأجاب أميرس : « يمكنكم أن تفتشوا المكان اذا أردتم كل ما أرجوه منكم فقط ألا تدخلوا البيت . فنساء عائلتي ونساء أخريات موجودات بالداخل ، وأقسم لكم بشرفي أن القطة ليست هنا ، حية أو ميتة » .

تصايحوا : « فتشـــــوا في الحديقة ! » . كان بعضـــــهم يصطحب كلابا معه . فبدأت أشعر بالخوف فطلبت من أحد رجالنا أن يسرع في طلب الجنود ، ثم تتبعت الحشد .

وفجأة شعرت بيد على كتفي ، وعندما ، التفت

رايت اميرس . فقال لى بصـــوت هادىء : « تذكر اوامرى ، ياجيثرو » .

انفجرت صيحة غضب من الحشد ، فتيقنت ان احد الكلاب قد عثر على القطة الميتة . وسمعت صيحات تقول : « لقد قتلت القطة » . واندفع الحشد نحونا . فقال اميرس : « اهرب يا جيثرو ! هذا أمرى الأخير » .

لم استطع ان اطيعه فى تلك اللحظة . فقد رايت فى عيون الحشد غضبا جامحا ، ممتزجا برغبة مجنونة فى القتل . ووقعت على الارض عدة مرات ، لكننى كنت انهض فى كل مرة . ثم خيل لى اننى سمعت اوامر والدك الاخـيرة وكاننى فى حلم القيت بنفسى فوق الحشد المتصارع امام الباب ، لكن تاكدت انه لا حول لى ولا قوة .

كان والدك ملقى على الارض ميتا تكسوه مسحة الهدوء والسكينة التى كانت مرتسمة على وجهه عندما تحدث الى . وعندما اندفعت خلال البوابة رايت الجنود لكن الوقت كان قد فات . فانطلقت على الفور لاحمل لكم الانباء ، ولكى اساعدكما على الهرب » .

جلس شيبرون يبكى ، أما أمويا فقد ذهب ووقف الى جواره والدموع فى عينيه ليواسيه .

بعد مرور عدة دقائق وصل شيجرون ومعه بعض الطعام .

قال جيثرو : « سأخرج الى هناك ، لأرى ماذا يحدث وربما يكون من الاسلم أو نبدأ على الفور ، من أن نظل هنا .

قال شيجرون : « لكن لايمكنكم المضى بهيئتكم هذه فشعرك الأشقر وعيناك الزرقاوان معروفة لأهل المدينة . ولابد أن أصبغ شعرك ووجهك ليكون فى لون سمرتنا ، وأعطيك ملابس مصرية » .

خلال نصف ساعة أصبح جيثرو بمساعدة شيجرون يبدو مثل أى مصرى من أبناء طيبة . وتوجه الى المدينة ليعرف ماذا حدث .

كان يظن أنه لن يبقى طويلا ، ويعود بأسرع ما يمكن . لكن اليوم مر وجاء الليل ولم يعد . وأخيرا بدأ الشابان يشعران بالخوف من ان أمرا سيئا قد وقع له .

الفصل التاسع عشر

مايســـة

وفى وقت متاخر من الليل ، عاد جيثرو .

قال : « هناك مشـــكلة جديدة ،فلقد اختطفت مايسه ! » .

قفز شـــيرون واموبا على اقدامهما وصـاحا : «مايســه اختطفت ؟ .. من الذى فعل ذلك ؟ ومتى حدث ذلك ؟ وكيف علمت بذلك ؟! » .

اجاب جيثرو : « عنـــدما تركتكما وتوجهت الى المدينة ، علمت بكل شىء ، لأن الحياة توقفت ، وكان الناس يتكلمون فى الشـــوارع عن موت أبيك وموت القطة . وقد امر الملك بالقبض عليكما ، وايضا على

الذين قتلوا والدك . وهناك رقابة مشددة الآن فى كل المدن والقرى المصرية والقى القبض على كل الغرباء وفحصوا هويتهم .

بعد ذلك ذهبت الى البيت ، ورأيت فى الحديقة امرأة عجوزا من العبيد تبكى، اتجهت اليها فاكتشفت أنها خادمة مايسه وهمست فى أذنها فعرفتنى على الفور . فأشرت اليها أن تلزم الصمت ، وأومأت الى ركن معتم فى الحديقة .

قالت عندما اختبأت وراء بعض الشجيرات :
« آه ، ياجيترو ، لقد اختفت سيدتى الشابة مايسه ! »

قلت : « اختفت ! ماذا تعنين ؟ »

ــ « عندما اندفع الحشد الى الحديقة للبحث عن القطة ، دخل أربعة رجال الى البيت ، واندفعوا من حجرة الى اخرى حتى دخلوا حجرة سيدتى . سمعنا صرخة ، وبعد لحظة خرجوا يحملون شخصا ملفوفا بعناية » .

« ولم انطق للحظة . وأخيرا فكرت فى روث .
فقلت : أين روث ؟ »

قالت : « لا ندرى ، فلم تؤخذ مع مايسه ، ولم نعثر عليها فى أى حجرة من حجرات البيت » .

قال شيرون : « لكن لماذا هربت روث . فحياتها لم تكن معرضة للخطر عندما وصل الجنود » .

اجاب جيثرو : « ذلك مالا استطيع أن أفهمه ، ولم تستطع العجوز أن تقول لى شيئا عنه . لكننى أعرف بأن روث ليست من النوع الذى يهرب من الخطر .. ولما لم استطع معرفة المزيد ، فقد رجعت بأسرع ما يمكن » .

وواصل جيثرو كلامه فقال : « منذ أن غادرت البيت كنت اتمنى أن يحدث شىء قد يرشدنى الى اولئك الذين اختطفوا مايسه » .

فقال شيرون : « اعتقد انه لا يمكننا الرحيل غدا ، يا جيثرو ، لا يتحتم علينا أن نرحل قبل أن نعرف ماذا حدث لها » .

ـــ « كلا بالتأكيد ، ياشيبرون . واجبى يحتم على ان أبقىٰ هنا حتى نجدها . ولقد تحدث والدك معى بخصوصها ، لكنه لم يعرف كيف يمكن ان نساعدها ، اذ من المفروض أن تكون بصحبة والدتها . وهى الآن فى حاجة ماسة لمساعدتها » .

قال اموبا : « اشعر تماما بأن ما حدث يقع وزره على بتايلاس سوف يحتفظ بها كرهينة حتى يصبح كاهنا اكبر . واذا وافق الملك على زواجها من بلكسو ، فلن يكون فى مقدور مايسه أن ترفض » .

قال شيبرون : « اعتقد انك على صواب ، يا اموبا . لكن السؤال هو ، ما الذى ينبغى علينا عمله ؟ فلا يمكننا أن نتركها فى أيدى بتايلاس » .

قال جيثرو : « بمقدورى ان اعدك ، ياشيبرون بأن بلكسو لن يتزوجها على الاطلاق ، من المحتمل الا نعثر على مايسه ، لكن باستطاعتى العثور على بلكسو . قبل أن نغادر مصر ، وسوف أقتله هو وأباه لانتى على يقين بانهما سبب موت والدك » .

عندما انتهى من كلامه دخل شيجرون .

قال : « لقد جئت لأرى اذا كان جيثرو قد عاد أم لا . انا لا أعتقد أنه بامكانكم البقاء مختفين هنا أكثر من يوم فقط أو يومين . فالجنود يبحثون فى كل مكان وفى كل بيت وفى كل منطقة ، ولن يمضى وقت طويل حتى يحضروا الى هنا . هناك مقابر عائلية منحوتة على الجانب الآخر من الجبل ، يمكنكم الاختفاء فيها ، من الأفضل ان نذهب الى احدى هذه المقابر فورا . سوف أذهب معكم عند الفجر لاختيار افضل مكان ».

عند الفجر وصل شيجرون . نهض الثلاثة على الفور وتبعوه . قادهم عبر أسفل جانب الجبل لمسافة ما ، ثم انحرف وبدأ يتسلق الجبل . مروا بالعديد من المقابر ، بعضها مبنية بالحجر وأخرى منحوتة فى الصخر . لم يتوقفوا الا بعد مسيرة نصف ساعة ، أمام مدخل واحدة من تلك المقابر الضخمة المنحوتة فى الصخر لعائلة نبيلة ثرية من طيبة .

قال شيجرون : « اعتقد ان هذه المقبرة من الممكن ان تكون أفضل مكان للاختفاء فيه ، لانها بعيدة من المقابر الأخرى ، وقليل من الناس يمرون من هنا . كما ان صخرة الباب لم توضع فى مكانها ، رغم ان جسد النبيل مسجى هنا منذ فترة قصيرة . فقد قال لى ابنه بانه لن يغلق المقبرة لأن امه مريضة جدا ، ويخشى ان تلحق بزوجها فى القريب العاجل . سوف نلاقى صعوبات بسيطة فى الدخول . يجب عليكم ان تظلوا مختبئين داخلها اثناء النهار وعندما تظلم الدنيا يمكنكم الخروج حسبما تشاءون .. ساوفر لكم ما يكفى من الطعام لعدة أيام واحضر لكم بعض الملابس التى طلبتوها ، كما ساحضر النقود التى اعطاها لى أميرس امانة عندى » .

بمجرد أن تركهم شيجرون جلس الأصدقاء الثلاثة بمدخل المقبرة واخذوا يتطلعون الى المدينة الهادئة باسفل الجبل .

تناقشـــــوا طويلا فى الخطة التى ينبغى عليهم تنفيذها.

قال شيبرون : « اعتقد ان افضل خطة تناسبنا بعد كل ما ناقشناه ، هى أن نراقب بلكسو .. اما بتايلاس فسيكون مشغولا جدا لتأكده من تنصيبه كاهنا اكبر . لذا فمن المحتمل ان يذهب بلكسو لرؤية مايسه ، ويحاول اقناعها بالزواج منه . ولانها فى الغالب ليست محتجزة فى بيته ، فبالتأكيد سوف يقودنا الى مكانها على أقل تقدير » .

قال جيثرو : « اعتقد انها خطة ممتازة » .

فواصل شيبرون كلامه قائلا : « لابد أن نكتشف اى الطرق يسلك ، لنبدأ به ، بعد ذلك لن يكون أحدنا فى حاجة للاقتراب من البيت . سوف اشترى سلة زهور واتخذ مكانا قرب البوابة . فى حوالى الثالثة

سيكون بلكسو قد انتهى من واجباته فى المعبد ، وربما يذهب بعد ذلك بنصف ساعة . وهكذا أستطيع أن اعرف الطريق الذى سلكه . وعندما تلحقان بى فى المساء ، يمكن لاحدكما ان يسير فى ذلك الطريق لمسافة ميل أو ميلين ، والآخر ضعف المسافة السابقة .. عندئذ سوف نعرف عندما يعود ، المسافة التي قطعها من الطريق . وبالتالى نعرف الأماكن التى سنكمن فيها غدا لنعرف المزيد مما يفعله » .

الفصـــل العشرون

البحــث عن مايســة

في ظهر اليوم التالي ارتدى شيبرون ملابس امرأة فقيرة وجلس أمام سلة الزهور على بعد خمسين مترا من مدخل بيت بتايلاس . وكما توقع ، عاد بلكســـو ووالده من المعبد بعد الظهر بقليل . وبعد نصف ساعة استقل بلكسو عربة صغيرة يجرها حصانان وخرج من البوابة .

من المكان الذي كان يجلس فيه شـــيبرون كان باستطاعته رؤية مفترق طرق ثلاثة .واحد يتجه شمالا الى الوادي ، بينما يتجه الآخران يمينا ويسارا ، احدهما يؤدي الى الطريق المجاور للنهر ، والآخر يؤدي الى الجبال . ولقد مضى بلكسو في الطريق الاخير . من

المحتمل أنه كان ذاهبا لزيارة بعض الاصدقاء ، لكن شيبرون احس تقريبا انه ذاهب لرؤية مايسه .

قال شـــــيبرون عندما انضــــم اليه رفيقاه : « لقد انطلق فى الساعة الثالثة ، ومضى فى الطريق المؤدى الى سفح الجبل » .

قال جيثرو : « سوف نذهب على الفور ، فربما يعود سريعا ، لذا يجب أن نسرع . سر أنت بهدوء ياشيبرون ، وقف عند منحنى الطريق . وسوف يقف أموبا على بعد ميلين ، اما أنا فسوف أذهب أبعد من ذلك بميلين .. فلو أنه عاد عبر الطريق ومر على ، فسنبدأ من تلك النقطة غدا » .

وما أن وصل جيثرو الى المكان الذى كان من المقرر أن ينتظر فيه ، . حتى سمع صوت عجلات عربة . بعد مضى دقيقة مرت به العربة . وعاد جيثرو الى المدينة وقابل أموبا وشيبرون فى طريقه .

فى الليلة التالية وقف أموبا على بعد ميل من المكان الذى رأى فيه جيثرو العربة ، فى حين كان جيثرو يقف

على بعد ميل آخر منه . أما شيبرون فكان يراقب من نفس مكان الأمس . لكن العربة لم تمر في ذلك الوقت .

لم يصـــل بلكسو حقيقة الا فى الربع الأخير من الليل . ولم يمر هذه المرة بموقع جيثرو على الاطلاق ، ومن المؤكد انه انحرف الى اليمين أو اليسار عند نقطة معينة في المسافة ما بين أمويا وجيثرو ، حيث لم تكن توجد منازل فى ذلك الطريق البرى .

وعندما اكتشـــفوا ذلك ، قرروا الا يعودوا الى مخبأهم القريب من طيبة هذه الليلة . وراوا انه من الافضل لهم ان يستلقوا تحت بعض الأشجار القريبة من الطريق حتى الفجر ، بعدها يتفحصـــون الطريق بعناية . ولم يتوقعوا مرور عربات أخـــرى في ذلك الطريق قبل طلوع النهار ، وبالتالى أصبح فى امكانهم تتبع آثار العربة على الطريق الترابى .

بهذه الطـــريقة اكتشفوا الطريق الذى عاد منه بلكسو ، لكن بعد ذلك لم تظهر آثار عجلات العربة لأن الطريق كان صخريا وليس متربا .

وظلوا يراقبون وينتظرون يوما بعـد يوم ، فى اليوم الســادس فقط راى شــيرون عربة على الطريق . ولما كانت عربات كثيرة قد مرت على الطريق كل يوم فقد كان امله ضعيفا جدا . لكن عندما اقتربت داهمه شعور اكيد لا يعرف مصدره ، بأن تلك العربة هى التى يبحث عنها . فالخيول كانت بنفس لون خيول عربة بلكسو ، كما أن ملابسه الكهنوتية البيضاء كانت واضحة للعيان .

فى هذه المرة لم يكن خادمه معه ، بل رجل يتضح من ملابسه البيضاء أنه كاهن ايضا . **فقال شيرون لنفسه** : « لابد أن يكون ذلك بتايلاس الشـرير الذى تسبب في موت والدى » .

واصلت العربة سيرها ثم انحرفت الى طريق قريب جدا من سفح الجبل ، حتى لم يعد فى امكانه رؤيتها . وما ان اختفت العربة حتى هب واقفا على قدميه وأسرع عبر الجبال لينضم الى أموبا . وعندما اكتشفت أنه غير موجود واصل السير حتى لحق بجيثرو ، الذى كان أموبا قد انضم اليه قبل أن يصل بلحظة أو لحظتين .

سألهما بسرعة : « هل رأيتاهما ؟ »

أجاب جيثرو : « لقد رأيتهما وعرفت أين ذهبا ؟ أترى ذلك السقف الموجود بين الأشجار ، عند سفح الجبل ، على بعد نصف ميل ؟ لقد انحرفا من هنا وتوغلا بين الأشجار . أخيرا انتهى بحثنا » .

ـــ « لكن ما هو أفضل شيء نفعله ، ياجيثرو ؟ أننتظر حتى يغادرا البيت ، ثم نذهب اليه بعد ذلك ؟

فأجاب جيثرو بحسم : « كلا . هناك أمران لابد من انجازهما : أولا ، انقاذ مايسه ، ثانيا : التعامل مع هذين الكاهنين الشريرين . لقد رأيت بتلايلاس مع ابنه ، وبالتأكيد لم يحضر معه الا لغرض ما من المحتمل.انه ينوى اخافة البنت حتى يجبرها على الوعـــد بزواج بلكسو . وماذا تستطيع فتاة فى مثل سنها أن تفعل وهى بين يدى رجل مثل هذا ؟ . لا شك أن بلكســـو حاول معها وفشل ، لذا فقد أحضر بتايلاس لمساعدته .

استمر جيثرو فى كلامه : « اموبا وأنا ســنحمل عصيا غليظة ، على حين تخفى أنت سكينك تحت

ملابسك النسائية . فتاخذهم على حين غرة . انا لا اتوقع وجود أكثر من رجل أو رجلين معهما ، ومحتمل أن توجد خادمة . فيتايلاس لا يريد لسره ان ينكشف . وبالطبع ، من الممكن ان يكون الرجال الأربعة الذين خطفوا مايسه قائمين بالحراسة ، فلو كان الامر كذلك فسيصبحون ستة . حتى لو وجد عشرون منهم ، فلن يرهبني ذلك فالرجال الشرفاء لا يخشون أبدا مقابلة الرجال الاشرار » .

فصاح اموبا : « خاصـــــة عندما يكون الرجال الشرفاء أقوياء مثلك ، ياجيثرو ، وبأيديهم عصى غليظة ثقيلة ! » .

ابتسم جيثرو ، وشرعوا على الفور فى السـير بجانب سفح الجبل ، حتى وصلوا خلف البيت تماما وسط الأشجار . بعدها تسلقوا الجدران بشىء من الصعوبة ونزلوا الى الحديقة . ثم ساروا بهدوء بقدر ما يمكن بين الأشجار واقتربوا من البيت .

عبروا الحديقة بلا أدنى صوت . وقف جيثرو ورفع

يده ، لانه سمع أصواتا آتية من الباب المفتوح . وعرف شيرون وأموبا على الفور أن احد هذه الأصوات هو صوت بتايلاس .

ــ « أنا لا أريد مزيدا من الحماقات ، يا مايسه . لابد أن تسعدى بمثل هذا المرض الذى قدمه لك ابنى . لابد أن أحصل على اجابة الآن . سوف تتعهدين أمام الآلهة ، بأن تتزوجى بلكسو . وتتعهدين كذلك ، بأن تخبرى الجميع بان أحدا لم يجبرك على البقاء هنا ، وانك اختبأت هنا ، لانك كنت مملتئة خوفا وغضبا بسبب فعلة أخيك الشنعاء . اذا لم تتعهدى بذلك فسوف تؤخذين الليلة وتوضعين فى السجن . ستبقين وحدك ، لا ترين ضوء النهار حتى تتعهدى بذلك ! » .

ثم سمع صوت آخر ، تبين لثلاثتهم انه صوت روث :

ــ « لا تصغى اليه يا مايسه . اذا كنت تدعى ياسيدى أنك الكاهن الاكبر ، فلابد ان الآلهة التى تتظاهر بالصلاة لها ، هى مجرد أشياء تافهة ، اذا كانت قد

سمحت لواحد مثلك ليكون كاهنها الاكبر ، لو انها آلهة حقيقية وليست مجرد تماثيل ، لكان من المحتم أن ترديك قتيلا !» .

ندت صيحة غضـــــب من بتايلاس وتقدم للأمام وامسك الفتاة بخشونة من كتفيها . فضربته روث بكلتا يديها على وجهه بكل ما تملك من قوة . فقفز الى الخلف وقد أحمر وجهه من الغضب .

وصاح : « أحضرها الى يا بلكسو ! »

لم يستطع الرفاق الثلاثة الانتظار اكثر من ذلك ، فاندفعوا داخل الحجرة .

الفصل الواحد والعشرون

العثــور على مايســة

على الرغم من ان بتايلاس أخذ على حين فجأة ، الا أنه لم يستسلم ، **واستل سيفه وقال :** « من أنتم وماذا تفعلون هنا ؟ »

ـــ « نحن الذين ترغب فى موتهم ، يابتايلاس ، لكننا جئنا لمحاسبتك . وطالما انك تســببت فى موت أميرس ، فلابد أن تموت » .

ودون أن ينطق بكلمة اندفع بتايلاس ناحية جيثرو بسيفه وعندما فعل ذلك ، هوى جيثرو بعصاه الغليظة على السيف فكسره .

أســـقط بتايلاس ذراعه الى جانبه ، **وقال وهو**

ينظر مباشرة الى جيثرو : « أتجرؤ على قتل الكاهن الاكبر لأوزيريس ؟ »

فقال جيثرو : « أنا لا أهتم بمن تكون ، فكل ما أعرفه أنك قتلت سيدى » .

وهوى بعصاه الغليظة الثقيلة على رأس الكاهن بكل ما لديه من قوة .

فى هذه اللحظة عاد بلكسو ، الذى كان قد فر من الحجرة لحظة دخول الآخرين ، ومعه ثلاثة مسلحون كان شيرون وأموبا يتابعان القتال بين جيثرو ويتايلاس، ولم يلحظا دخول بلكسو ، الذى هجم على شيرون وفى يده سكين .

وفجأة انطلقت صيحة تحذير . واندفعت روث الى الامام ولفت ذراعيها حول جسد بلكسو ووقع الاثنان على الارض وانتفضت روث واقفة على قدميها ، وتمدد بلكسو على الأرض دون حركة . ووقف الرجال المسلحون للحظة مندهشين من سقوط سيدهم . وعندما

رأوا رجلين فقط وامرأة ، اندفعوا لمهاجمتهم . ضرب جيثرو واحدا منهم فأوقعه أرضا ، ووقف الآخـــران ثابتين مكانهما يخشيان أن يتحركا .

صاح جيثرو : «ألقيا أسلحتكما ، وإلا ستقتلان !»

فى تلك اللحظة خلع شيرون ملابسه النســائية واستل ســكينة ووقف عند الباب ، عندما قام جيثرو واموبا بتجريد الرجلين من أسلحتهما .

قال : « ارفعا أيديكما . وأنت يابنى ، قف على رأسيهما وعصاك معك ، لو تحرك أحدهما ، هشـــم رأســه ! »

استسلم الرجلان . ومزق جيثرو ملابســـهما الى شرائح وقام بربط أيديهما خلفهما بإحكام . لاحظ أموبا وشيرون أن جيثرو قد نادى أموبا بابنه ، فعرفا أنه كان يقصد من ذلك اخفاء أسمائهم الحقيقية .

أما مايســه فقد اطلقت صـــيحة فرح عندما رأت النجدة قادمة ، وجلست فى تلك اللحظة على كرسى منخفض ، وأخفت عينيها بيديها اثناء القتال ، فى حين

وقفت روث الى جنبه وهى تراقب الموقف . ولم تتحرك الا عندما اندفع بلكسو ناحية شيبرون ، ثم عادت الى جوار مايسه بعد أن أوقعته أرضا . كما أنها ادركت السبب الذى جعل جيثرو ينادى أموبا ، ابنى . وقالت لمايسه فى هدوء : « لقد انتهى القتال الآن ، اهدأى ولا تتكلمى حتى تعرفى ما الذى ينبغى عمله » .

بعد أن قيد جيثرو ذراعى الرجل الراقد نصف ميت على الأرض ، اتجه الى بلكسو الذى لم يتحرك من مكانه منذ أن سقط على الأرض . وعندما قلبه على جنبه ، أطلق صيحة اندهاش بصوت خفيض ، **وقال لشيبرون :**

« جاسنديون ، خذ الفتاتين الى الحديقة ، وابق هناك حتى نلحق بك » .

خرج شيبرون تتبعه مايسه وروث . وفى اللحظة التى أصبحا فيها بالخارج ألقت مايسه ذراعيها حوله وبكت فرحا .

وصاحت : « آه ، ياشيبرون ! لقد جئت فى الوقت

المناسب تماما ، فلقد اعتقدت أننا لن نستطيع الهرب من ذلك الرجل البشع . لم أكن أعرف ماذا أفعل اذا لم تكن روث معى . آه يا أخى ! لقد قالوا لى اشياء بشعة ــ لا أعتقد أنها صحيحة ــ قالوا لى ان والدنا العزيز قد قتل ، وأنك ياشيبرون ، الذى قتلت القطة العزيزة بوسى . لكنى بالطبع لم اصدقهم . . فأنا أعرف انهم جميعا رجال أشرار » .

قال شيبرون : « لا تفكرى فيهم الآن ، ياعزيزتى ، وأول شىء هو أن تخرجى من هذا المكان . ولسوف يقرر جيثرو واموبا افضل تصرف يمكن أن نفعله ، هل هناك آخرون فى البيت ؟ »

اجابت روث : « يوجد رجل آخر ، وامرأة عجوز . أعتقد ان الرجل موجود عند الباب » .

فقال شيبرون : « من الأفضل أن أخبر جيثرو » . وعاد ثانية الى الحجرة وأخبر جيثرو بما سمع .

فقال جيثرو : « سنقبض على المرأة اولا ، ثم نلف حول البيت ونقبض على سائق العربة . فلابد أن الرجل

سمع الصياح . فاذا اندفعنا ناحية الباب ، فمن المحتمل ان يقفز داخل العربة وينطلق بها قبل ان نمسك به . لكن اذا هاجمناه من الخلف فسوف نباغته » .

قال شيبرون : « لكنك نسيت أن تقيد ذراعى بلكسو » .

اجاب جيثرو : « لقد مات بلكسو .. فلقد سقط وذراعه بالقرب من صدره ، فانغرست السكين التى كان ينوى قتلك بها فى قلبه ! » .

قال شسيبرون : « لكن لماذا ناديت اموبا بابنك ، وناديتنى جاسنديون ؟ »

قال جيثرو : « آه ، حتى لا يعرف الناس اننا من فعلنا ذلك . سوف يعتقدون ان بعض اللصوص نزلوا من الجبل ، وقتلوا بلكسو ووالده خاصة وأن يلكسو لم يرنا بوضوح قبل أن يندفع الى الخارج ليستدعى الرجال لنجدة والده . والآن دعونا نكمل عملنا » .

سرعان ما قيدت المراة ، وربطت يداها باحكام

خلف ظهرها وتم وضـــع الرجال الاربعة فى حجرات منفصلة .

قال جيثرو : « لا ينبغى ان تضع رجلين معا ، تذكر ذلك دائما . ضـع كل رجل وحده تضمن الاحتفاظ به . واذا وضـعت اثنين معا فلابد ان يهربا .. فمن الممكن ان يفك كل منهما رباط الآخر باســــــنانه ، أو ربما باصابعه .

ساله اموبا : « والآن ما الذى ينبغى علينا عمله ؟»

ـــ « اذهب انت ياشيبرون الى الحديقة ، وابق مع الفتاتين ، اما انا واموبا فسوف نتعامل مع الســائق .

الفصل الثانى والعشرون

لابد من مغادرة مصر

بمجرد أن تركه أموبا وجيثرو انضم الى الفتاتين .

ــ « لقد أنقذت حياتى ، ياروث ، لن أنسى لك ذلك أبدا ! »

ــ « لقد أنقذتنى من التمساح ، ياسيدى . لم أفعل شيئا سوى أننى ألقيت بلكسو على الأرض ، ولا أدرى كيف تم ذلك ؟ » .

ــ « لقد أنقذتنى ياروث . فأنا لم أنتبه اليه ، الا عندما صرخت أنت . كان من الممكن ان يقتلنى .. لكن كيف جئت إلى هنا ؟ لقد تمنينا بالطبع أن تكونى مع مايسه ، لكن أحدا لم يرك وأنت تخرجين معها » .

اجابت روث فى هدوء : « ان مكانى دائما مع سيدتى مايسه . . فهى بالنسبة لى أكثر من ذلك ــ لانها صديقة » .

فسالته مايسه : « لكن كيف أمكنك الحضور الى هنا ، ياشيبرون ؟ »

ــ « انها حكاية طويلة ، ياعزيزتى . سوف أخبرك بكل شىء فيما بعد . كما اننا سنكون فى شوق لسماع حكايتك أيضا . آه ، لقد حضر أمويا وجيثرو . . ليكن فى علمك أنك مدينة بسلامتك لهما اكثر مما تدينين بها لى يا مايسه » .

توجهت مايسه ناحيتهما بينما هما يقتربان .

ــ « أوه ، ياجيثرو ! كم انا مدينة لك بالكثير ، ولك أنت أيضا يا امويا . لقد كادت قواى تنهار ، رغم ما كانت تقوم به روث لبث الأمل فى لايمكنكم أن تقدروا مدى السعادة التى شعرت بها عندما سمعت اصواتكم » .

اجاب جيثرو : « لقد كانت فرحتنا بوجودك تعادل فرحتنا برؤيتك . ويسعدنى أنا واموبا ان نقدم حياتنا فداء لك . والآن هيا نذهب خلال الحديقة الى الجانب الآخر من البيت . هناك يمكننا ان نجلس ونتكلم ، وفى نفس الوقت نراقب دخول اى شخص » .

ذهبوا الى الجزء الخلفى من البيت ، وجلسوا على بعض المقاعد الموجودة تحت الأشجار . كان كل شىء هادئا وآمنا . أما بالنسبة لشيبرون ، فقد كان كل ما حدث خلال الايام القليلة الماضية بمثابة حلم مزعج .

قالت مايسه : « الآن وقبل اي شيء ، لابد أن أحصل على اجابة لأسئلتى . كيف حال أبى وامى ؟ »

أمسك جيثرو بذراع اموبا **وانتحيا جانبا ، وقال :** « سوف نترككما ،ياشيبرون . عليك أن تخبر مايسه بكل ما حدث . من الأفضل أن تكون وحدك فى هذا الوقت .

نهضت روث من على مقعدها ، لكن مايسه وضعت يدها على يدها .

ــ « انا خائفة ، ياروث ، ابقى معى » .

قال شيبرون : « لقد قلت يامايسه انهم قالوا لك بأن والدك قد مات ، وأنني قتلت القطة بوسى » .

ــ « نعم ، لكنى لم أصدقهم .. على الأقل بالنسبة لك . لكن عندما اعود بذاكرتى الى هؤلاء الناس الذين كانوا عند البوابة ، وتلك الضجة .. فقد كنت أخشى ان يكون ما قالوه عن والدى صحيح . لكن ، من المؤكد ان ذلك غير صحيح يا شيبرون » .

ــ « صحيح ، يا مايسه ! وكم كنت اتمنى أن أكون هناك لاموت بجانبه ، لكنك تعرفين باننى وأمويا كنا بعيدا . لقد قاتل جيثرو حتى النهاية ، وكان من الممكن أن يموت معه ، لولا ان أبى قال له بان يحمينى ويأخذنى الى الريف » .

انهمرت الدموع من عينى مايسه .. وبعد دقائق قليلة تطلعت الى أعلى ، وقالت : « لكن لماذا يتحتم عليك أن تغادر البلاد ، ياشيبرون ف فبالتأكيد ، بالتأكيد ليس صحيحا انك ... » .

وبدا لها الأمر فظيعا جدا حتى تصوغه فى كلمات .

ـــ « أننى قتلت المسكينة بوسى ؟ هذا صـــحيح كذلك ، يا مايسـه » .

فأطلقت مايسه صرخة حزن .

ضمت روث الفتاة الباكية وقالت : « لابد أن تتأكدى يا مايسـه ، أن أخاك لم يكن يقصد فعل ذلك . لا يمكن أن تكون غلطته » .

فصاحت مايسه : « الأمر سواء ، فقد كانت القطة المقدسة ـــ قطة بوباسطس ! » .

شرح شيبرون لأخته ، كيف قتلت القطة ، وماذا فعل هو واموبا لاخفاء جسد القطة ، « عندما أخبرت والدى ، قال لى ليس بك حاجة لأن تخشى غضـــب الآلهة » .

ـــ « أرى أنها ليست غلطتك ياشيبرون ، لكن كيف يتسنى لوالدنا القول بأن الآلهة لن تغضب لذلك ؟ »

ـــ « لن استطيع أن أخبرك بكل ما قاله يا مايسـه

وقد ياتى يوم يكون باستطاعتى ان افعل ذلك ، وانت تعرفين كم كان حكيما وطيبا ، وانا اريدك ان تتذكرى ما قاله عندما رحلت » .

بكت مايســـه وقفزت ناحية أخيها وألقت بذراعيها حول عنقه وقالت :

« لكن لماذا يتحتم عليك أن ترحل وتتركنا ؟ »

ـــ « أهل مصر يفتشون فى كل ارجاء البلاد للعثور على وقتلى أنا واموبا ، لذا لابد أن نهرب . كان ينبغى الآن ان نكون بعيدا جـــــدا لو لم نبق للبحث عنك وانقاذك » .

قالت مايسه : « لو ان كل شىء قالوه كان صحيحا، ياشيرون ، فمن الممكن اذن أن يكون ذلك الخطاب الذى اروه لى من قبل امى صحيحا كذلك ، وتامرنى فيه بالزواج من بلكسو فكيف تسنى لها ان تقول ذلك وهى تعرف تماما أننى اكرهه ؟ » .

فسأل شيرون : « ما الذى قالته ؟ »

ـــ « قالت ان العار قد حل بعائلتنا ، وربما يسعدنى ان أتلقى هذا المرض بالزواج » .

جلس شيبرون صامتا ، فقد كان يعلم ان أمه لم تكن تظهر الكثير من الحب له ولا لمايسه .

ـــ « أخشى ان يكون ذلك صحيحا يا مايسه » .

فقالت مايسه بغضب : « لكننى لن اتزوج بلكسو ابدا ! فقد كان أبى يقول دائما ، بأنه لا ينبغى على ان أتزوج رجلا اكرهه » .

ـــ « لن تتزوجى بلكسو ابدا ، يا مايسه .. لأنه مات » .

ـــ « اذن ما الذى ينبغى على عمله ؟ »

ـــ « يجب أن تعودى الى والدتك ، يا مايسه .. ليس هناك شىء آخر تفعلينه » .

صاحت مايسه : « لن افعل ! فهى لم تحببنى ابدا . كانت تود أن تزوجنى من بلكسو رغما عنى ، فى حين انها كانت تعلم تماما أنى اكرهه . كلا يا شيبرون ، لن

يرغمنى شىء على المودة لها . انها تفكر فى نفسها ، كما كانت تفعل دائما ، وليس فى باى حال من الأحوال، أنت تعرف ذلك ايضا ، يا شيبرون » .

ظل شيبرون صامتا . فقد كان يعرف أن ما قالته مايسه صحيح تماما .

سألها جيثرو : « لكن الى اين يمكنك الذهاب ، يا مايسه ؟ فأينما كنت ، لابد أن تعرف أمك ، وتعمل على عودتك » .

اجابت مايسه بحسم : « سأذهب مع شيبرون وأمويا »

فأجاب جيثرو : « مستحيل . فنحن مقبلون على رحلة تحفها المخاطر . وسنلتقى بأناس شرسين لا نعرفهم . من المحتمل الا تظلى على قيد الحياة حتى نهاية الرحلة . كيف يتسنى لنا أن نصحبك معنا خلال تلك المخاطر والصعاب ؟ » .

قالت مايسه : « انا استطيع المشى مثل شيبرون . أنت تعرف ذلك . ياشيبرون . اننى افضل الموت على

أن أبقى فى مصر . لقد قتل أهلها أبى ، ومن المحتمل أن تتزوج أمى من أغنى رجل قد يقابلها . لم يعد لى فى هذا العالم ، الا شيبرون فقط ، ولسوف أذهب معه الى حيث يمضى ، وأموت حيثما يموت » .

قال جيثرو فى اسى : « مايسه أنت تطلبين شيئا صعبا . اذا مضيت معنا فلابد ان تكونى على استعداد لمواجهة الموت بأشكال عديدة .. الموت جوعا أو عطشا، أو برماح وسهام اولئك الناس الشرسين ساكنى الصحراء . من المحتمل أن تؤخذى أسيرة وتباعى فى سوق العبيد . انها رحلة وعرة بالنسبة للرجال ، وأكثر وعورة بالنسبة للنساء . لكن اذا كان لديك استعداد لتكونى ثابتة وقوية فى مواجهة اى خطر ، فمن الممكن ان نتفق ، وبالتالى يمكنك أن تذهبى معنا » .

أطلقت مايسه صرخة فرح .

ـــ « أنا أمدك يا جيثرو . ومهما يحدث من مخاطر واهوال وصعاب ، أو حتى الموت .. فلسوف أواجه ذلك معك ! » .

الفصل الثالث والعشرون

خطـط الهـــرب

قال اموبا : « والآن ، يا جيثرو ، ما الذى ترى ان نفعل الآن ؟ . فالدينا ظلام تقريبا ، وبامكاننا ان ننطلق على الفور . ايمكننا ان نستعمل العربة ؟ »

تدبر جيثرو هذه الفكرة لبرهة قصيرة. **ثم قال :** « لكنها صغيرة جدا ، ولن تكون ذات فائدة تذكر . لكن يمكننا استعمالها حتى نصل الى المنطقة الشمالية ، وحتى نجعلهم يعتقدون أننا سلكنا ذلك الطريق » .

قال اموبا : « ساجهز العربة . ســــــيكون امامك الكثير ياجيثرو لتقوم به غدا . يجب أن نشترى قاربا ومخزونا من الطعام . وأرى ان افضل خطة ان نتجه مباشرة مع الفتاتين الى طيبة . ستذهب أنت وشيبرون

الى المكان الذى اختبأنا فيه من قبل فى الجبل . أما الفتاتان فسيسعد شيجرون أن يستضيفهما فى بيته . فليس هناك خطر حاليا من احتمال البحث عنهما .. فعندما لا يعود الكاهن وابنه الليلة ، سيظن الخدم أنهما سيقضيان الليلة هنا . ولن ينتشر الخبر قبل بعد ظهر غدا ، كما أن الأخبار لن تصل طيبة الا فى صباح اليوم التالى ، سوف أقود العربة طوال النهار فى رحلتنا الى الشمال ، ثم أعود سـيرا على الأقدام وأنضم اليكما مساء الغد » .

قال جيثرو : « خطتك جيدة يا أموبا . قبل أن نرحل سأبعثر كل شىء فى المكان ، حتى يبدو الأمر كما لو أن لصوصا كانوا هنا . تعال معى يا أموبا . سيبدو الأمر غريبا ، الا اذا قام أحد منا بالبحث » .

سـرعان ما بعثر جيثرو وأموبا المكان ليبدو أن لصوصا قد اقتحموا البيت . وألقوا ببعض المجوهرات والأشياء الثمينة فى بحيرة الحديقة . ثم ألقوا نظرة على السجناء ، وتأكدوا أنهم لن يستطيعوا الهرب .

وقاد أمويا الخيل لتشرب من البحيرة . ثم ركب العربة وانطلق بها ، بينما ســـار الآخرون على الأقدام نحو طيبة .

كان الوقت متأخراً عندما وصلوا الى بيت شيجرون وفكروا انه قد يكون من الأفضل عدم الاقتراب منه . فقضت الفتاتان ليلتهما فى حجرة مبنية بالحجر خلف البيت ، بينما نام جيثرو وشـــــيبرون على الأرض خارجها .

عند الفجر توجه جيثرو الى البيت ، ولما لم تكن هناك اى مظاهر للحياة فى البيت فقد طرق الباب ، وابلغ شيجرون بانهم اكتشفوا مكان مايسه وانقذوها .

اضطرب شيجرون جدا عندما سمع بموت الكاهن وابنه .

ــ « كانا شريرين ، ياجيثرو . لكن موت بتايلاس الذى كان من المحتمل ان يكون الكاهن الاكبر ، جدير بان يصب الآلهة جام غضبهم على مصر . ورغم ان

ما حدث ليس خطأ الفتاتين المسكينتين ، الا أنه يسعدنى أن استضيفهما الليلة » .

نادى شيجرون خدمه واخبرهم ان بعض الأصدقاء قد وصلوا من الريف ، وامر بتجهيز حجرة لهم ، ثم خرج وعاد بالفتاتين الى البيت ، وأدخلهما بهدوء الى حجرتهما حتى لا يراهما أحد من الخدم .

ثم نادى على خادمة عجوز يثق فيها ، واخبرها ان تخبر الخدم الآخرين بان الضيوف لن يبقوا هنا سوى ساعات قليلة ، وسيبعث اليهم بعض الأصدقاء بعربة تقلهم الى الريف .

ذهب شيجرون مع جيثرو لعمل الترتيبات اللازمة للرحلة . فى البداية توجها الى شاطىء النهر ، حيث يوجد العديد من القوارب المربوطة الى الشاطىء .. وعندما انتشر الخبر بانهم فى حاجة الى قارب ، وجدا نفسيهما محاصرين بعدد من أصحاب القوارب ! واخذ كل منهم يمتدح سرعة وسلامة وراحة قاربه تمهل شيجرون بعض الوقت قبل أن يختار ما يبدو مناسبا

لغرضه . فاختار مركبا جيدة بها غرفة كبيرة مقسمة الى جناحين واحد منها لاستعمال السيدات . وعلى ظهر المركب كان يوجد ريس المركب ومعه رجال اربعة .

سرعان ما اتفقوا على الاجر ، وبعد ذلك توجه شيجرون مع جيثرو لشراء كل ما يلزم للرحلة النهرية لم يكن هناك حاجة لشراء الكثير من الطعام ، لان المركب كان لابد ان تتوقف كل ليلة بأحد القرى الموجودة على شاطىء النهر .

اشتروا الكثير من الحاجات التى من الممكن ان يبيعوها لاهالى المناطق البرية ، وكذلك سهاما وحرابا قصيرة . ووضع كل ذلك على ظهر المركب .

كان كل شىء جاهزا فى اواخر اليوم ، وبعدها عاد شيجرون الى بيته ومعه جيثرو . القى جيثرو نظرة على الفتاتين ، ثم مضى الى الجبل فوجد ان اموبا كان قد وصل الى هناك ولحق به شيبرون .

ساله الشابان عندما دخل : « هل يمضى كل شىء على ما يرام ؟ »

اجاب جيثرو : « نعم ، المركب جاهزة وكل شىء فوق ظهرها . اشتريت بضائع لنتاجر فيها لأهل المنطقة الواقعة بين ميرو والبحر الأحمر . كل شىء على ما يرام الى حد كبير » .

ساله اموبا : « هل ستعود الى البيت ثانية يا جيثرو ؟ » .

— « نعم . سنبدأ الرحلة عند الفجر تماما . من الأفضل أن تنتظرا بعيدا عن البيت ، وتتبعانا . ثم تنضما الينا عندما نصل الى النهر ستكون المركب فى انتظارنا فى منطقة قريبة لنا حتى لا نضطر الى الدخول الى المدينة . كونا حريصين على ارتداء الملابس بطريقة صحيحة ، فنحن لا نريد أن يقبض علينا فى اللحظة الاخيرة » .

فى وقت متأخر من تلك الليلة عاد جيثرو الى مخبأهم السرى فى الجبل . **وقال لهما :** « المدينة كلها

تتحدث عما حدث . ويبدو ان الناس لا تعرف شيئا عن حكاية الفتاتين . وهكذا يمكن لمايسه وروث أن تتوجها الى المركب بصحبتي أنا وشيجرون . وأنا أفضل الا تصعدا الى ظهر المركب معنا . فشيجرون يرى انه من الأسلم بالنسبة لكما أن تذهبا الآن الى قرية ميتا التي تبعد اثني عشر ميلا عن المدينة على طول شاطيء النهر ، لأن المركب ستتوقف هناك مساء الغد . عندما يسود الظلام يمكنكما أن تصعد الى ظهر المركب . . وسوف أخبر ريس المركب بأنني انتظر بعض الرفاق للانضمام الينا » .

قال أمويا : « هذه بالتأكيد أحسن خطة . أعتقد أن شيبرون يعرف الطريق جيدا للوصول الى المركب وهو يرتدي ملابسه . سأنام ساعتين قبل بدء الرحلة ، فأنا لم أنم ليلة أمس ومشيت أربعين ميلا منذ ان تركت العربة .

قال شيبرون : « سأوقظك ، فقد نمت طول النهار تقريبا » .

جلس شـيرون يراقب النجوم حتى رأى أنها قطعت ســاعتين فى رحلتها . بعدها ايقظ أمويا .. واستبدلا ملابسهما بملابس ابناء التجار .

وبعد ان انتهيا من ارتداء ملابسهما شرعا فى السير اتجها الى شاطىء النهر وسـارا بمحاذاته ، وعندما اصبحا على بعد ميلين من ميتا استراحا تحت ظل احد الاشجار . وظلا نائمين حتى وقت متأخر بعد الظهر .

بعد نصف ساعة من غروب الشمس وصـل الصديقان الى ميتا . تمشيا على مهل فى سوق القرية بحثا عن جيثرو . وعثروا عليه خلال دقائق امام باب احد الدكاكين .

سأله امويا : « هل كل شىء على مايرام ؟ »

ــ « كل شىء .. غادرنا المدينة دون مشاكل على الاطلاق . والآن هيا الى ظهر المركب : فالفتاتان قلقتان عليكما ، رغم اننى أخبرتهما انه لا خوف عليكما لان الطريق آمن » .

قادهما جيثرو الى المركب التى كانت راسية على بعد مائة متر من القرية .

وعندما صعدوا الى ظهر المركب قال جيثرو بصوت عال : « هاهما أخواكما . وجدتهما يتجولان فى شوارع القرية ، وقد نسيا أنكما فى انتظارهما العشاء ! » .

دخلا حجرة صغيرة اتساعها ثمانية أقدام تقريبا وطولها اثنى عشر قدما ، لكنها ليست مرتفعة بالقدر الكافى لكى يقفا براحتهما .

أطلقت مايسه صيحة فرح عندما دخلا ، وقالت عندما جلس شيرون بجوارها : « شكرا للآلهة ، اننا اجتمعنا ثانية ! أنا أشعر بسعادة غامرة الآن ! » .

قال جيثرو عندما دخل رجل بأطباق الطعام : « ها هو عشاؤك » .

ثم قال له هامسا بعد ان خرج الرجل : « هناك شىء واحد أردت أن أقوله ، وهو الا تنادى بعضنا بأسمائنا . يجب أن تنادونى بالوالد ، طالما أنه من

المفترض أنكم أبنائى . أموبا من الممكن أن يصبح أمنيس وشيبرون سيصبح اسمه شيفا » .

قالت مايسه : « وانا سأصبح مايتس . وانت ياروث بماذا نناديك ؟ ليس هناك اسم مصرى يقترب من اسمك » .

قالت روث : لا يهم ، اى اسم تنادونى به » .

فقالت مايسه : « يمكننا أن نناديها نايت . لى صديقة مخلصة تحمل هذا الاسم » .

الفصل الرابع والعشرون

الرحـــلة النهريـــة

بعد أن انتهى العشاء ، جلس الأصدقاء الخمسة بهدوء فى ضوء القمر . تكلموا عن الأحداث الغريبة التى وقعت خلال الايام القليلة الماضية .

قال جيثرو لروث : « والآن ، ياروث ، يجب أن تحكى لنا كيف وصلت الى مايسه فى بيت بتايلاس . نحن نعرف كيف تم اختطافها ، لكن ماذا حدث لك ؟

اجابت روث : « لقد حدث الامر كله فجاة . سمعنا صوت خطوات سريعة ، ثم اندفع ثلاثة رجال الى الحجرة وقبضوا على مايسه . غطوا وجهها قبل أن تسنح لها الفرصة لطلب النجدة . ضــــربنى أحدهم ودفعنى على الأرض . كم من الوقت ظللت هكذا لا

ادرى ، لكن عندما أفقت لنفسى وتطلعت حولى ، وجدت الغرفة خالية ، وقفت على قدمى بصعوبة .. فتحت الباب وسرت داخل البيت ، ثم دلفت الى الحديقة حتى وصلت الى البوابة . هناك رأيت اربعة رجال يضعون مايسه فى عربة . جريت نحوهم وما ان وصلت اليهم حتى التفت الى أحدهم وفى يده سكين . صرخت : « خذونى معها ، وساظل هادئة ، اذا لم تأخذونى ساصرخ ، ويأتى الجنود ! » . لم يعرف الرجال كيف يتصرفون معى ، فجريت خلفهم وتسلقت العربة بجوار مايسه . ثم انطلقت العربة » .

قال جيثرو : « هذه شجاعة منك ، ياروث . فبدون مساعدتك لم يكن بامكاننا أن نجتمع هنا كما هو الحال الآن ، مستعدين لمواجهة مخاطر تلك الرحلة الطويلة . والآن ارى ان تذهبا الى الجزء الآخر من الغرفة لتناما .. الليلة تستطيعان أن تستريحا تماما » .

لم يمض وقت طويل حتى نام جيثرو ورفاقه نوما عميقا . فقد تحدثوا وياسى عن الرحلة التى تنتظرهم .

كان ريس المركب ورجاله مشغولين على شاطيء النهر، لاعداد المركب للتحـــــرك عند الفجــر ، لذا لم يكن باستطاعتهم سماع اى شيء من الخطط التى وضعها جيثرو ، الذى اطمأن الى ان سر هروبهم ظل محفوظا تماما .

وعند بزوغ الشمس ، دفع الرجال بالمركب بعيدا عن الشـــاطيء . وهبت ريح لطيفة ، دفعت بالمركب لتسير ضد التيار بثبات ، وساد الجميع شــــعور بالسعادة . خلفهم يقبع خطر الموت ، وأمامهم يبزغ امل حياة جديدة سعيدة مثل نجم فى السماء .

مرت الايام يوما بعد يوم بهدوء وراحة . كانت الفتاتان ورفاقهما يسيرون على الشاطيء بجوار النهر بعد افطارهم المبكر ، وكذلك بعد انتهاء حرارة النهار . كانوا يعدون انفسهم لرحلة الصـــحراء الطويلة التى سيواجهونها .

وعندما وصلوا الى سيين (اسوان الآن) ، انتهى الجزء الاول من رحلتهم . وبعد ان كانوا مسافرين فى

مجرى آمن هادىء ليس به اخطار ، فان النهر بعد سيين يسبح اكثر خطورة فى بعض اجزائه . كما ان اهـــــالى المنطقة التى يتحتم عليهم ان يعبروها كانوا معروفين بقتل المسافرين الذين يسلكون ذلك الطريق .

ظلوا فى سيين ثلاثة أيام . وبطبيعة الحال كان يسعدهم ان يرحلوا دون تأخير ، لأن الســـــلطات المصرية كان نفوذها يمتد الى ما بعد سيين ، التى كان يتم فيها فحص المسافرين بواسطة ضباط مصريين . لكن كان من عادة الملاحين أن يقضوا عدة أيام للراحة قبل ان يبدأوا المرحلة الصعبة التى ستواجههم . وفكر جيثرو انه قد لا يكون من الحكمة أن يتعجلوا الرحيل .

كان الفيضان قد بدأ فى الارتفاع قبل أن يغادروا طيبة . ورغم انه لم يبلغ حد الذروة ، الا ان مياه النهر كانت تتدفق بقوة . أخبر البحارة الفتاتين بأنه لا خطر عليهما ، وسـاروا بالمركب فى محاذاة الشاطىء . كان جيثرو والفتيان يسيرون معهم وعندما كانت الريح تخمد

احيانا ، كانوا يســــاعدون البحارة فى جذب المركب بالحبال ضد التيار ، لأن الاشرعة لا تكون ذات فائدة .

وبعد حوالى شهر من السفر وصلوا الى سمنح التى اتفق معهم ريس المركب على توصيلهم اليها .. بعد تلك المنطقة كان نفوذ ملوك مصر يتلاشـى . وكان النهر هنا ينحرف ناحية الشرق لمسافة مائة وعشرين ميلا ثم يعود الى الجنوب ثم مرة أخرى ناحية الغرب . بمعنى أنه يشكل ثلاثة أضلاع مربع . ثم بالقرب من مدينة ميروى (الخرطوم الآن) يعود النهر الى اتجاهه ناحية الجنوب .

وبدلا من الابحار عبر النهر تلك المسافة الطويلة ، تعود التجار أن يعبروا الصحراء الى مدينة صــغيرة تسمى ميراوى . وعلى ذلك بقوا فى سمنح حتى يجهزوا مجموعة مسلحة بشكل جيد . وكان ذلك ضروريا ، لأن المنطقة الصحراوية بين سمنح وميراوى لم تكن تخضع لا للمصريين ولا لشعب ميراوى ، ومن الخطورة عبور هذه المنطقة الصحراوية لان التجار كانوا غالبا

ما يهاجمون من قبل عصـــــابات اللصوص الجوالين ، الذين كانوا يســرقون بضـائعهم وياخذونهم كعبيد .

ومن خلال اتصال جيثرو بتجار سمنح عرف منهم انه ليس هناك ضرورة ، كما اعتقد ، للابحار عبر النيل من ميراوى الى ميروى ، ثم الاتجاه شرقا الى اكسيوم عاصمة الحبشة ثم الى البحر الأحمر . فقد كان هناك طريق مختصر جدا الى البحر الاحمر من المقريفة (بربر الآن) .

اخبر التجار جيثرو بأن هذة الرحلة ليست اصـعب من الرحلة من ميروى الى اكسـيوم ، كما أن المسافة أقل بكثير . لذا فقد قرر أن أفضل خطة هى ان يبيع كل البضائع التى احضرها معه ، ويحتفظ بالقليل فقط ليعطيه للرجال الذين قد يأخذهم معه مقابل حمايتهم أثناء رحلتهم الى البحر الاحمر .

فكر جيثرو أنه قد يكون من الافضل ان ينتظروا ستة شهور او اكثر قبل ان يمروا باى مدينة مصرية على شاطىء البحر الاحمر فى طريقهم الى الشمال . لذا فقد بقوا فى سمنح لمدة شهرين تقريبا ، قبل ان يواصلوا رحلتهم . ثم انضـــــموا لمجموعة كبيرة من القوارب التى ابحرت الى اعالى النيل .

كانت مصاعب الرحلة كثيرة جدا . فبعد ســـفر لمســـافة ستين ميلا وصل القارب الى جزء خطر من النهر ، حيث أصبح المجرى ضيقا جدا فى بعض اجزائه وتتدفق مياهه بسرعة بين صخور حادة . تحتم على القوارب أن تتوقف ، وتعاون الرجال سويا على سحب القوارب واحدا بعد الآخر فى تلك البقعة الخطيرة .

اخيرا تم سحب جميع القوارب عبر هذه المنطقة الصــــخرية الوعرة ومياهها المتدفقة . فى هذه الليلة اقام البحارة والتجار احتفالا على شاطىء النهر بمناســة

انتهاء ذلك الخطر . ونقلت كل البضائع الموجودة فى القوارب ووضعت على هيئة ساتر لحمايتهم من الأعداء .

وطوال الرحلة كلها عندما كانت القوارب تتوقف ليلا ، كان حراس مسلحون منهم يتسلقون الصخور العالية الموجودة على الشاطىء ، ليراقبوا أى هجوم يشنه أهل الصحراء .

الفصل الخامس والعشرون

صعـــاب ومخـــاطر

فى ليلة الاحتفـــــــال وقف كل من جيثرو واموبا وشيبرون سويا على ربوة عالية يتطلعون الى الصحراء عندما صاح جيثرو فجأة : « هناك شىء يتحرك على ذلك التل المنحدر المواجه لنا ! ولقد خيل لى عدة مرات أننى سمعت صوت سقوط بعض الحجارة . ولقد كان ذلك مؤكدا » .

ثم التفت الى احد الحراس وصاح قائلا : « ارفع سلاحك وكن على استعداد لهجوم » .

توقف الغناء على الفور وهب الرجال واقفين على أقدامهم ، وسمع جيثرو صوت سقوط شىء بجانبه ، فانحنى والتقط سهما سقط بجواره .

صاح : « الإعداء ! قفوا خلف المســاتر واخمدوا النيران .

وبينما هو يتكلم ارتفعت صيحة عالية قادمة من ناحية الجبل ، وانهمرت الرماح فوق المجموعة الصغيرة جرح العديد من الرجال ، واطيعت أوامر جيترو واخمدت النيران .

صاح جيترو : « فلتظلوا مختبئين ، حتى تستطيعوا رؤيتهم بوضـــــوح . ولتكن حرابكم جــاهزة عندما يهاجمون ! » .

اكتشف الرجال على الفور من خلال هدوء جيتروا أنه متمرس على القتال ، وبالتالى اطاعوه خلال لحظة او لحظتين امكن مشاهدة مجموعة من الرجال تقترب اكثر . انتظر المصريون حتى اقتربوا بما فيه الكفاية ، ثم امطروهم بوابل من الســـــهام . كانوا يشــدون أقواسهم بأقصى ما يستطيعون من سرعة ، ثم قابلوا الأعداء وجها لوجه بحرابهم وسيوفهم وفؤوسهم .

وكلما كان اللصوص يتسلقون السّـاتر المنخفض كان يلقى بهم أو يقتلون وبعد قتال شرس توقف القتال فجأة كما بدأ .

قال جيثرو : « لا اعتقد انهم سيعاودون الكرة ، لأنهم اكتشفوا اننا أقوياء ومسلحون اكثر مما توقعوا .. لكننا لا نعرف اساليبهم ، ومن الأفضل ان تظل يقظين »

بعد مرور ساعة ، لم يحدث اي شيء . اشتعلت النار ثانية وبدأ فحص الجرحى . قتل ستة عشر رجلا ، بالرماح . وعثر على سبعة وثلاثين رجلا من اللصوص قتلى داخل الساتر الصغير . أما عدد الذين سقطوا خارج الساتر فلم يعرف على الاطلاق ، لان اللصوص حملوا قتلاهم وجرحاهم . وعندما انتهى القتال اسرع شيبرون الى القارب لطمأنة الفتاتين .

في اليوم التالي واصلت الرحلة طريقها دون مزيد من المتاعب . واخيرا وصـــلت القوارب الى مدينة

المقريف ، حيث ينبغي ان يتركوا النهر ويواصلوا سيرهم الى ســـــاحل البحر ، دفع جيثرو اجر الرجال ، ثم وضعت الخطط للجزء التالى من الرحلة .

علم ان هنـــــاك بعض الآبار فى الاماكن التى سيتوقفون فيها على طول الطريق ، وأن أهل الصحراء شرسون وخطرون ، ومن عادة التجار المسافرين عبر ذلك الطريق ان يدفعوا لهم نقودا او بضائع ليسمحوا لهم بالمرور . ولهذا السبب كان معظم المســـــافرين يختارون الطريق الأطول عبر الحبشة لأنه أكثر امنا .

كان هناك رجلان يحكمان اهل الصحراء . فبعث جيثرو برسالة الى اقربهما يطلب فيها الســـــماح له بالمرور بأمان خلال ارضه . وعرض ان يدفع المبلغ المعتاد ، وانتظر وصول الرد .

بعد أسبوع حضر اربعة رجال الى البيت ، وقالوا انهم على استعداد لقيادتهم عبر ارض حاكمهم . كان جيثرو قد رتب كل شىء مع رئيس المدينة ليمده باثنى

عشر رجلا ، ليحملوا امتعتهم التى سيحتاجونها خلال الرحلة ، وكذلك البضائع التى اشتراها من المتريف .

إكتشف جيثرو أن الفتاتين لن تستطيعا مواصلة الرحلة عبر الجبال وهما على هذا النحو ، لذا فقد فكر انه من الافضل بالنسبة لمايسه وروث ان ترتديا زى الصبيان ، لأن وصول فتاتين مصريتين الى مدينة ساحلية ، سيثير الكثير من الأسئلة ، وينكشف سرهم .

فى الساعات القليلة الأولى من بداية الرحلة ، استمتعت الفتاتان بتغير الرحلة من نهرية الى برية . لكن قبل ان يحل الليل كانت الفتاتان فى غاية الاجهاد فقد كانت الشمس تضرب الجميع بقسوة حيث لا يوجد ظل شجرة او شجيرة .. لم يعانوا من العطش كثيرا ، لأنهم كانوا يحملون معهم الكثير من الفاكهة الطازجة ، لكن إقدام الفتاتين سببت لهما آلاما مبرحة .

قالت مايســـه متوســـلة والدموع فى عينيها : « ايمكننا ان نتوقف قليلا ؟ » .

هز جيثرو راسه وقال : « يجب ان نسـسـير لمدة ساعتين على الاقل حتى نصل الى الآبار . رحلة اليوم الأول ست ساعات متواصلة » .

أرأدت مايسه ان تقول بانها لا تستطيع السير اكثر من ذلك ، **لكن روث همست في اذنها :**

ـ « لا ينبغي أن نضـــــعف ، يا مايسه .. لقد وعدناهم ، اذا اخـذونا معهم ، باننا سـسـنتحمل كل الصعوبات والاخطار دونما شكوى » .

بعثت هذه الكلمات بروح جديدة في قلب مايسه ، فواصـلت سـيرها في صمت حتى وصلوا الى منطقة الآبار .

قال جيثرو : « ارى انكما سرتما بشجاعة تامة ، وانا أرى كم انتما متعبتان ، ستكون رحلة الغد اقصر كثيرا » .



قالت روث لمايسة : لابد أن نتحمل الصعاب

كان من الطيب أن تكون رحلة الغد كذلك ، لأن الفتاتين اكتشفتا أن المشى صـــعب وانهما فى حاجة للاعتماد على ذراع جيثرو حتى الوصـــول الى مكان التوقف التالى .

كان جيثرو يعلم كم تعـــانى الفتاتان . لذا اخبر رجاله بأنهم لابد ان يستريحوا اليوم التالى ، وبرر ذلك بأن ولديه لم يتعودا على السير . وافق الرجال بعد ان وعد كلا منهم بهدية عند انتهاء الرحلة .

كان ليوم الراحة اثر كبير على الفتاتين . رغم أن أقدامهما كانت لاتزال تؤلمهما ، لكن بعد لفها بقطع من القماش ، اكتشفا ان ذلك أكثر راحة من الاحذية .

فى اليوم التالى سارت المجموعة عبر واد به مجرى صغير يمتلىء بالماء من الجبال فى الايام المطيرة . وبدت لهم الجبال فى البداية من كلا الجانبين على بعد كبير

منهم ، لكنهم كلما ساروا رغم آلامهم ، اصبحت الجبال وكأنها جدران عالية تحف بالمجـــــرى الجاف من كلا الجانبين .

قال جيثرو الى الفتاتين عندما وصـــلوا الى مكان التوقف التالى : « لقد انتهى الجزء الصعب الآن ، وسوف تجدان أن السير كل يوم سيصبح اسهل لقد قمتما بأكثر مما كنت أتوقع ، وأنا اشعر بأمل كبير الآن فى الوصول الى نهاية الرحلة بأمان ! »

الفصل السادس والعشرون

زوار غربـــاء

فى اليوم السابع وبعد أن بداوا سيرهم سمعوا صوت تهشم افرع الأشجار الموجودة بأعلى التلال . وسرعان ما ظهرت أربع او خمس رؤوس حيوانات ضخمة فوق مستوى الشـجيرات التى تغطى جوانب التلال . ورغم ان احدا من رفاق جيثرو لم ير فيلا فى حياته الا أنهم تعرفوا عليه من خلال الصور والتماثل التى رأوها لتلك المخلوقات .

سأل جيثرو رجاله : « هل ستهاجمنا ؟ »

رد احد الرجال : « هى لا تفعل ذلك عادة ، لكن من الأفضل أن نبتعد عن طريقها » .

فأشـــــار جيثرو الى أهم المنقولات قيمة وبعض

حقائب الطعام . فحملها الرجال على ظهورهم وانطلقوا خلال الشجيرات فى الجانب المقابل من الوادى وأخذوا انفسهم .

كانت الافيال فى تلك الآونة قد وصلت الى اسفل الوادى ، ورفع رئيس مجموعة الرجال يده لكى يلتزموا الصمت حبسوا انفاسهم وانتظروا . فسمعوا صوت اقدام الفيلة الثقيلة تحطم الشجيرات ، وأخيرا رفع جيثرو نفسه ببطء ليرى ماذا يحدث . كانت الافيال تتفحص الأحمال التى تركوها .

فهمس قائلا وهو يجلس ثانية : « اعتقد انها ستأكل كل طعامنا »

وبعد مرور نصف ساعة ، سمعوا ثانية صوت تهشم الشجيرات فتطلع جيثرو ثانية .. فصاح :

ــ « حمدا للآلهة ! انها تبتعد » .

كانت الشجيرات تتهشم تحت اقدام الفيلة وهى تسير ببطء فى طريقها الى أعلى التل ، وكانها اعشاب

جمع جيثرو مجموعته ، عندما اختفت الافيـــال عن الانظار ، وعادوا الى المكان الذى تركوا فيه حاجياتهم فانطلقت منهم صيحات دهشـة عندما وصلوا .

لقد بعثر كل مخزونهم بشكل فوضــــوى . حتى الخيام والملابس وجدوها معلقة على افرع الاشجار ، كما لو ان الافيال قد القت بها فى سورة غضب ، كل ما يمكن اكله ، انتهى بل ان الافيال قطعت قرب النبيذ وشربته كله .

ومضت ساعات قبل ان يجمعوا باقى اشيائهم .

وبعد ثلاثة ايام وصلوا الى قرية صغيرة تقع عند بداية حدود الحاكم الثانى الذى يقع الطريق المؤدى الى البحر الاحمر فى ارضـه . عند هذا الحد تركه الرجال الذين قدموا معه . وحل محلهم آخرون من القرية . لم تكن هناك مشكلة فى الحصول على باقى متطلبات الرحلة من خبز وفاكهة ودقيق . وبعد راحة لمدة يوم واحد واصلوا سيرهم .

بعد مسـيرة اسـبوعين وقفوا على قمة الجبل الاخير ، وتطلعوا عبر الصحراء الممتدة امامهم وراوا البحر الفسيح يتلألأ تحت اشعة الشمس .

وصلوا الى المدينة المصرية الساحلية بعد يومين من السير تحت اشعة الشمس القاسية ، وفوق الرمال الحارقة . وعندما دخلوا المدينة قابل أحد الضـباط جيثرو وامره أن يذهب معه الى قائده . اخذ شيبرون معه ، وترك أموبا لاجراء ترتيبات استئجار بيت صغير مدة اقامتهم فى المدينة انتظارا لاحدى السفن .

ويبدو أن القائد لم يبد اهتماما على الاطلاق بجيثرو أو عمله . فساله جيثرو عدة أسئلة عن احوال البلاد التى تقع فى الناحية الأخرى من البحر.

قال : هناك مجموعة من التجـار من الناحية الأخرى من البحر ، ترغب فى عبور الجبال الى مسمتع او ميروى .. لكنى أحتفظت بهم هناك حتى تصـلنى أنباء من كلا المكانين . لو أن اى أذى لحق بهم فى طريقهم ، فسوف الام على ذلك .

وبعد نهاية الاســــبوع كان جيثرو قد اتفق مع ســــفينة تجارية ، تحمل بضائع الى مختلف المدن الساحلية ، لكى تنقلهم شمالا الى مدينة أرســــينوى (السويس الآن) .

كانت الرحلة طويلة ومتعبة ، والريح خفيفة فى أغلب الأحيان ، حتى أن السفينة لم يكن يبدو انها تتحرك . والحرارة شديدة بشكل فظيع لم يعهدوه من قبل اثناء رحــــلتهم . توقفوا فى كثير من المدن على الساحل الشرقى لا تقع تحت السيطرة المصرية .. كان ربان السفينة يبيع فى هذه الاماكن بضائع صنعت فى مصر ويشترى اشياء يبيعها فى أماكن اخرى .

قبل بداية الرحـــلة قرر جيثرو أنه ينبغى عليهم مغادرة السفينة فى ألينا وليس فى أرســــينوى كما اتفقوا مع ربان السفينة . وكانت تلك مدينة تقع فى نهاية الخليج الشرقى للبحر الاحمر . (العقبة الآن) بذلك لن يضطروا للمرور على المنطقة الشمالية لمصر ، فمن المحتمل أن ضباط الملك مازالوا يبحثون عنهم ..

كانوا حريصين جدا على ألا يعرف ربان السفينة شيئا عن خطتهم .

وبينما كانت السفينة مبحرة فى هذا الخليج تظاهرت مايسه بالمرض الشديد . وحقيقة لم تكن بها حاجة للادعاء ، فقد عانت الفتاتان من شدة الحرارة وأشعة الشمس الفظيعة على سطح الماء بما فيه الكفاية .

وما ان وصلوا الى الينا ، حتى حملها جيثرو الى بيت بالمدينة ، التى كان يوجد بها عدد قليل من المصريين تحت قيادة ضابط . فأبدوا اهتماما كبيرا بالمسافرين اذ اعتقدوا أنهم تجار . كانت المنطقة التى تمتد خارج حدود المدينة لا تقع تحت السيطرة المصرية . فهى منطقة صحراوية ، لا تستحق مشقة الاشراف عليها .

بعد يومين عاد جيثرو الى ظهر السفينة واخبر الربان أن ابنه مازال مريضا جدا ، ولا يستطيع مواصلة الرحلة .

وقال له أنه طالما سيتحتم عليه الانتظار لفترة طويلة لحين وصول سفينة أخرى ، فهو يرغب فى شراء بعض البضائع منه ليتاجر فيها مع أهل المدينة . وافق الربان على ذلك فورا . فقدم البضائع لجيثرو بسعر أقل ، عندما تيقن أنه لن يرد اليه باقى النقود التى دفعها . اشترى جيثرو بعض الملابس المصـــــرية من مختلف الألوان وبضائع مصرية أخرى ، كما ينبغى لأى تاجر أن تتوفر معه كل تلك البضائع . كما اشترى أيضـــــا أسلحة لنفسه ولرفاقه .

الفصل السابع والعشرون

غبـــار وحـــر

بعد أن أبحرت السفينة ذهب جيثرو لمقابلة الضابط المصرى ، وقدم له هدية مناسبة ، ووجد فيه صديقا نافعا ، اذ استطاع بمســـــاعدته أن يبدأ فى الاعداد للرحلة عبر الصحراء .

قال جيثرو : « لم استطع مواصلة الرحلة بالسفينة لأن ابنى مريض جدا . سوف أضطر للبقاء فترة طويلة قبل أن تصل سفينة أخرى ، لذا فأنا أفكر فى السفر الى موآب ، لأبيع ما تبقى من بضاعتى هناك » .

قال المصرى : « سيكون ذلك متاحا اذا وصلت الى موآب ، لأن التجار عادة ما يســـتقبلون استقبالا جيدا هناك . لكن الرحلة من هنا لا تخلو من أخطار .

فلابد أن تمر بمناطق لا تخضع لسيطرة حاكم . فأهل الصحراء الرحل يهاجمون أى أحد يقابلونه . لا يكتفون بسلب بضائعهم ، بل يقتلونهم أو يأخذونهم كعبيد .. فاذا وصلت الى موآب فأنت آمن كما لو أنك كنت مسافرا الى غرب البحيرة المالحة ، التى يجرى فيها نهر الأردن .

فسأله جيثرو : « هل الرحلة بين ذلك المكان والبحيرة المالحة صعبة ؟ » .

ـ « هى ليست صعبة فى الحقيقة ، الا اذا أخذت معك ماء كافيا أثناء الرحلة لان الآبار قليلة وجافة فى الغالب . والمنطقة مكشوفة طوال الطريق . ورغم ان الطريق صخرى وعر ، الا انه لا يشكل صعوبة على الاطلاق . لكننى أعتقد انه قد يكون من الافضل أن تترك ابنك هنا » .

قال جيثرو : « كلا ، فهو الآن أحسن كثيرا . وهو يفضل السفر معى أكثر من بقائه هنا . لو اننا ذهبنا

عبر اراضى هؤلاء الناس غرب البحيرة المالحة ، ونهر الاردن ، فسوف تكون الرحلة اقصـــــر بالنسبة لنا للوصول الى اى مدينة على ســـاحل البحر الأعظم ، ويمكننا من هناك أن نأخذ سفينة الى بيليزيوم ونصل الى وطننا قبل أن ننتظر وصول ســــــفينة تأخذنا من هنا » .

فقال المصرى : « لاباس فى ذلك ، لكن الخطر يكمن أساسا فى الجزء الاول من الرحلة . والتجار الذين يسافرون الى بالميرا عن طريق موآب ، يسافرون بصحبة مجموعات قوية مسلحة من الرجال لحمايتهم . ولقد سافرت مجموعة منذ عدة أسابيع مضت ، وليس قبل شهر حتى تسافر مجموعة أخرى .

ساله جيثرو : « ما هى الدواب التى ينبغى ان آخذها معى ؟ » .

ــ « الجمال دون شك هى الأفضل . يوجد فى المدينة الآن رجل لديه ستة أو سبعة جمال ، على ما أعتقد . جاء مع المجموعة الأخيرة من التجار ، لكنه

مريض جدا بحيث لا يمكنه العودة . لكنني أتوقع ان يسعد بالذهاب معك . سابعث معك جنديا يصحبك » .

اكتشف جيثرو ان الرجل لا يريد العودة وحده الى بلده ، القريبة من ميديا ، وهو نفس الاتجاه الذى يرغب جيثرو السفر فيه . رفض الرجل الذهاب الا اذا دفع له جيثرو أجر عشرة رجال مسلحين للسفر معهم لحمايتهم حتى موآب . وافق جيثرو ، وأسرع الى البيت واخبر رفاقه بنتيجة حديثه مع صاحب الجمال .

قال : « لقد رتبت لرحلتنا حتى بالميرا فقط ، فقد طلب الرجل عشرة رجال مسلحين ، لكننا سنأخذ اثنى عشر . لقد أنفقنا القليل جدا من النقود التى تركها والدك . والباقى كثير . كما أن النقود التى حصلت عليها من بيع بضائعنا فى سمنح أكثر مما دفعته للرحلة فى أعالى النيل . لذا ، فسوف ننفق هذه النقود فى المرحلة الخطيرة من رحلتنا . ولقد أخبرت صاحب الجمال اننا سوف نبدأ رحلتنا بعد أسبوع . ليس من الحكمة أن ندعهم يشعرون باننا فى عجلة كبيرة من

امرنا . وانت يا مايسه لا ينبغى عليك ان تتظاهرى بالشفاء السريع .

عند نهاية الاسـبوع كان جيثرو قد جمع الرجال الاثنى عشر ، وكلهم من اصحاب الخيول . والاجر الذى كان من المقرر أن يدفع لهم ، سلم الى الضابط المصرى ، ليدفعه لهم عندما يعودون ومعهم خطاب من جيثرو ، يقول فيه ، أنهم أدوا واجبهم على اتم وجه .

عندما علم صاحب الجمال أنهم قرروا السفر عن طريق شرق البحيرة المالحة ، قال ان ذلك قرار غير حكيم ، ومن الافضل لهم ان يسلكوا طريق البتراء الى هسبون فى موآب . فهذا هو الطريق الذى يسـلكه عادة بصحبة مجموعات التجار حيث تنتشر القرى على بعد مسافات قصيرة ، ولن يكون هناك صعوبة فى الحصول على الماء .

قال : « ان جمالى تستطيع قطع مسافات طويلة دون ماء ، وتسلك طريق الوادى ، لكن الخيول من الممكن ان تعانى كثيرا من العطش » .

سعد جيثرو لمعرفته ان الرحلة ستكون اقل تعبا مما ظن اولا . رتب كل شيء ، وبدأت الجماعة رحلتها بعد الفجر مباشرة .

كانت الفتاتان ماتزالان ترتديان زى الصبيان ، وركبتا فى خرجين على جانبى احد الجمال . كان صاحب الجمال يسير فى المقدمة ويسحبها بحبل ، وتتتابع باقى الجمال فى صف طويل ، كل جمل مربوط فى الجمل الذى امامه فى حين كان جيثرو واموبا وشيبرون ، وكلهم مسلحون بالسهام والحراب بالاضافة الى السيوف ، يركبون خيولهم بجوار جمل الفتاتين . فكان نصف الرجال يسير فى المقدمة والنصف الآخر فى المؤخرة .

سأل جيثرو صاحب الجمال : « ما هو اخطر جزء فى رحلتنا ؟ »

أجاب : « الجزء الأول . واذا ما وصلنا الى البتراء سنكون فى امان . سنمر أولا خلال منطقة وعرة جدا ، ومن المحتمل أن نقابل هناك أهل الصحراء الرحل فى رحلاتهم من والى جبل سيناء . والجبال المنحدرة التى

على يسارنا مكان مناسب جدا بالنسبة لهم للاختفاء فيه . من هناك يقومون بمراقبة المسافرين وينقضون عليهم » .

ــ « كم سنستغرق من الوقت حتى نصل الى البتراء ؟ » .

ــ « بعد ثلاثة أيام من المشى . لكن اذا كانت الدواب فى حالة طيبة ، يمكننا أن نصل خلال يومين ، اذا بدأنا السير مبكرا » .

قال جيثرو : « دعونا نسرع اذن ، وبالتالى يمكننا أن نظل فى البتراء يوما لاراحة الدواب . والآن هيا لنعبر تلك المنطقة الصحراوية الخطرة بقدر ما نستطيع » .

أشرقت الشمس فى سماء صافية . كانت حرارتها القوية تنعكس من صخور الجبال ومن الرمال البيضاء الممتدة بين الصخور التى تغطى كل مكان فى السهل .

وشعر المسافرون كما لو انهم يســــيرون خلال نار مشتعلة .

رغم ذلك واصلوا السير دون توقف . فيما عدا مرتين توقفا فيهما للراحة والاكل . وعندما أصـبحت الشـمس بالقرب من الأفق الغربى بدأوا فى اعـداد معسكرهم لقضاء الليل . كانت معهم قرب ماء كثيرة ، فشربت الخيول منها . واستراحت الجمال ، بأن ناخت على ركبها وغرس الرجال حرابهم فى الأرض ، وربطوا خيولهم بها ، على شكل دائرة حول الخيمة .

بعد تناول العشاء ساد صمت فى المعسكر . فقد كانت الرحلة شاقة ومتعبة . فاستلقى الرجال على الارض بجوار حرابهم ، وسرعان ما ناموا فى حين ظل أربعة منهم متيقظين للمراقبة . كان جيثرو قد اتفق مع إموبا وشيبرون على مداومة المراقبة ايضا اثناء الليل .

رغم ان الجميع كانوا يعتقدون ، بأنه اذا حدث هجوم فلن يقع الا قبل طلوع النهار .

قال صاحب الجمال : « لن يكون فى استطاعتهم ان يأخذونا على غرة ، لأنهم لا يمكن أن ينزلوا من فوق الجبال دون أن نسمعهم . واذا هوجمنا فسيكون ذلك عند الفجر .

لذلك فقد حرص جيثرو على أن يقوم شـــيرون بالمراقبة اولا ، ثم اموبا بعد ذلك . اما جيثرو نفســـه فسيقوم بالمراقبة خلال الساعات الأربع قبل الفجر .

الفصل الثامن والعشرون

الهجـوم على المعسـكر

مر الليل دون بوادر لأى انذار . وعند الفجر قدمت الحبوب والمياه للخيول . وتناولت المجموعة افطارها بسرعة وشرعت فى السير عندما بزغت الشمس . لم تكد المجموعة تسير مسافة ميل واحد ، حتى ظهرت عصـابة من الرجال متجهة نحوهم ، قادمة من خلف سلسلة الجبال الممتدة فى السهل . كان عددهم مائة رجل ، عشـرون يمتطون الجياد ، والباقون كانوا مترجلين . فتوقف المسافرون على الفور . وتقدم جيثرو ورجل من المجموعة لمقابلة الرجال ملوحين بقطعة قماش بيضاء كرمز للمودة ، وتقدم رجلان من أهل الصحراء لمقابلتهما ، ومضى بعض الوقت قبل أن يعود جيثرو لرفاقه المنتظرين .

ســـــــأله اموبا عندما عاد : « ماذا يقـــــولون ، ياجيثرو ؟ »

ــ « قائدهم يقـــول اننا لابد أن ندفع لهم حتى يسمحوا لنا بالمرور فى أرضهم . فقلت يسعدنى أن ادفع لو اننى عرفت أى شىء عنه . وبعد ذلك قدمت له بعض أكياس الملابس المصرية ، لكنه رفضها ، ثم قال لى بصراحة تامة انه ينوى الاســـتيلاء على كل بضائعنا ودوابنا ، ويمكننا بالتالى أن نكمل رحلتنا مشيا على الأقدام . قلت له لابد أن اتكلم أولا مع رفاقى . . واذا اتفقنا ، فسنجعل الراية البيضاء خفاقة » .

قال اموبا : « لابد اذن ان تنزل الراية على الفور ، ياجيثرو . فمن المحتمل أن يقتلونا بعد أن يستولوا على كل شىء . من بيننا ثلاثة وعشرون مسلحون تسليحا جيدا ، وبامكاننا أن نشق طريقنا وسطهم ، وبامكان الفتاتان أن تركبا خلفنا على الجمال » .

قال جيثرو : « أجل ، لكننا سنفقد كل بضائعنا ، التى سنكون فى أشد الحاجة اليها لنتاجر بها فى المدن

والقرى المختلفة التى سنمر بها . اعتقد انه من الافضل لو اننا شكلنا الجمال على هيئة مربع كما فعلنا ليلة أمس . وتقوم انت وشيرون ومكما ســـــت رجال مسلحون بالسهام والرماح بحراسة الجمال والفتاتين . اما بقيتنا فسوف تهاجم هؤلاء اللصوص . واذا استطعنا التعامل مع راكبى الجيـــــاد ، فاننى اتوقع فـــــرار الآخرين » .

ـــ « خطة ممتازة ياجيثرو . وبامكاننا ايضا ان نمنع مشاتهم من التقدم بواسطة سهامنا ورماحنا اذا جرؤوا على مهاجمتنا . فباستطاعتى انا وشيرون ان نصيب اى رجل على بعد مائة ياردة باحكام » .

اختار اموبا ستة رجال قالوا انه باســـــتطاعتهم استعمال الأقواس . قيدت خيولهم ووضـــعت خارج مربع الجمال . استلقت الفتاتان على الأرض ، ووضعت الحمولات خارج المربع لحمايتهما . وعندما اصبح كل شىء جاهزا ، انزلت الراية البيضاء وانطلق جيثرو مع اربعة عشـــر من رجاله بكل ســـــرعتهم لمواجهة أعدائهم .

انطلق راكبو الخيول لملاقاتهم ، وحافظ رجال جيثرو على ان يكونوا صفا واحدا . واستطاعوا بحرابهم المشرعة أن يخترقوا صفوف الأعداء ويفرقوها .. تدحرجت الخيول والرجال معا ، وقتل كثير من اللصوص على الفور . وصاح جيثرو على رجاله بأن يتوقفوا ، ويدوروا دورة ، ثم يهجمون ثانية فى صف متماسك .

فر بعض الرجال تجاه المشاة ، الذين كانوا قادمين لنجدتهم فى تلك اللحظة ، لكن جيثرو ورجاله تتبعوهم وقتلوهم . وقد حارب آخرون حتى النهاية لكن دون امل ، فقد قتلوا فى النهاية .

عندما اقترب اللصوص الآخرون المشاة اكثر ، طلب جيثرو من رجاله أن يلتحموا ثانية فى صف واحد، ثم يهاجموا . قاتل اللصوص بشجاعة . وحاصروا المجموعة الصغيرة ، ورموها بالسهام والرماح والسيوف . انطلق جيثرو يضرب ناحية اليمين واليسار بفاسه الثقيلة . وحافظ رجاله على ان يكونوا قريبين منه . وبعد قتال عنيف شقوا طريقهم وسط الاعداء .

أعيدت الكرة مرات ومرات ، حتى انهزم اللصوص وفروا الى الجبال ، وتركوا خلفهم اثنى عشر قتيلا من المشاة وكل راكبى الجياد .

حانت الفرصة لجيثرو ان يتطلع حوله . فاكتشف لاول مرة ، كما كان يظن ، انه لا يقاتل كل الأعداء فبينما كان يقاتل خمسين رجلا ، اتجهت باقى مجموعة اللصوص ناحية الجمال ، وكانوا يحاصرونهم فى تلك اللحظة .

وبصيحة منه لرجاله أن يتبعوه ، انطلق جيثرو بكل سرعة تجاههم ، وشق طريقا وسطهم بفأسه .

وحقيقة لقد تأخر بعض الشيء . فقد كان هناك قتال شرس ، حيث نفذ بعض اللصوص الى داخل المربع ، ولاقوا مقاومة من أموبا وشيبرون وأحد الرجال بينما كان الباقون يصدون الهجوم من الناحية الأخرى . وفور وصول جيثرو ورجاله توقف القتال .

قال اموبا : « لقد تاخرت بعض الشيء ياجيثرو » .

اجاب جيثرو : « لقد تاخرت بالفعل ، ففى خموة القتال لم الحظ انهم هاجموا المربع . اخشى الا تكون اصابتكما بالغة . هل الفتاتان سليمتان ؟ »

نهضت مليسه وروث على اقدامهما عندما توقف القتال .

اجابت مليسه : « نعم . لكن جروح ثلاثتكم شديدة »

فقال جيثرو : « ان جرحى بسيط ، دعونا نفحص جرح شيبرون اولا » . ذلك لان شيبرون جلس واستند الى احد الجمال .

قال شيبرون بصوت واهن : « لا تنزعجوا . فقط فقدت كمية كبيرة من الدم . ولقد حمى درعى جسدى » .

بعد فحص جروحهم بعناية ، اكتشف ان الشابين قد جرحا فى ساقيهما بسبب الرماح . كما ان صدغ

شيرونجرح من اثر ضربةسيف كما أن هناك اثر لضربة حربة فى جنبه . اما اموبا فقد كانت به جروح غائرة فى كتفيه . تناول جيثرو بعض قطع القماش وغسل الجروح بالماء ، وربطها بقطع نظيفة ، بعد ذلك توجه لرؤية الرجال الذين تم مساعدتهم من قبل رفاقهم . لقد قتل واحد من الذين كانوا يحرسون المربع ، وأصيب ثلاثة آخرون اصابات بالغة .

ومات من مجموعة جيثرو اثنان ، وجرح الجميع ولولا الدروع التى كانت تحمى اجسادهم ، لما بقى منهم الا القليل على قيد الحياة .

اما الرجل صاحب الجمال فلم يصب بأذى ، لأنه اختبأ تحت حمل من الملابس . بعد أن تم تنظيف جروح المصابين وربطها بقطع من القماش النظيف . قدم للجميع الماء والنبيذ .

كان هناك ثلاثة رجال اصاباتهم بالغة حتى انهم

لم يستطيعوا ركوب جيادهم ، فتم رفعهم بعناية فوق حمولة من الملابس فوق احد الجمال .

وبدات المجموعة سيرها ببطء شديد ، لأن بعض الرجال كانوا يجلسون على جيادهم بصعوبة .

وعندما وصل المسافرون الى البتراء ظلوا هناك لمدة اسبوع حتى شفيت جراحهم .

الفصل التاسع والعشرون

نهايـــة الرحـــلة

واصلت الرحلة سيرها دون متاعب حتى موآب . عندما وصلوا الى هناك استعد الرجال الذين صاحبوهم للعودة . وتلقى كل منهم هدية بالاضافة الى النقود التى وعدوا باخذها فى الينا . وبعد رحيلهم من موآب سلك الرفاق طريق الصحراء الى الشمال الشرقى . مروا بمدينة بالميا وواصلوا طريقهم الى نهر الفرات . فاصبحوا فى آشور ثم اكملوا مسيرتهم نحو الشمال حتى وصلوا الجبال الواقعة بين آشور وبحر قزوين .

قابلتهم على الطريق العـــديد من العقبات التى اخرتهم فلم يصلوا الى بلاد ميداس الا بعد ستة شهور من خروجهم من ايلانا . واهل ميداس رعاة رحل ، مثل سكان الريباس ، الذين كانوا اصدقاء لهم .

ورغم ان جيثرو واموبا شعرا بالأمان الآن الا انهما صمما على الاستمرار كتاجرين حتى يكتشفا ماذا حدث فى بلاد الريباس . وساروا بهدوء فى طريقهم باتجاه الشمال حتى وصلوا الى أول قرية من قرى الريباس .

تحدثوا كثيرا عما سوف يفعلونه عندما يصلون الى بلاد الريباس . فلو كان جيثرو وحده لأمكنه أن يخبر القوم بحقيقة شخصيته ولكانوا استقبلوه بحفاوة لنجاحه فى الفرار من المصريين . أما بالنسبة لأموبا ، فقد يكون فى ذلك خطر عليه ماداموا لا يعرفون من هو حاكم البلاد .

لم تكن لدى أموبا رغبة حقيقية فى أن يصبح ملكا للريباس . فكل ما كان يرغب فيه ، هو العيش فى هدوء ودعة على أرض الوطن .

سرعان ما بلغتهم الأخبار بأن فرقة من الجنود المصريين باقية فى العاصمة ، وأن أهل البلاد مرغمون على دفع مبلغ ضخم من المال كل عام كجزية لمصر .. كما علموا كذلك أن امازيس قام بتنصيب نفسه ملكا على

البلاد عقب مغادرة الجيش المصـــــرى الكبير للبلاد وبصحبته العبيد . واصبح صديقا للضباط المصريين ، وبالتالى كان مكروها من الناس . كما انه قتل كل اعضاء اسرة الملك السابق الذين يحق لهم ان اصبحوا ملوكا على الريباس .

ودارت مناقشات طويلة بين اموبا وجيثرو حول ما ينبغى عليه ان يفعله الآن بعد ان علم ان الملك الحالى هو عدوهم .

لكن اموبا ردد : « انا ليس بى رغبة لأن اكون ملكا » .

قال جيثرو : « لقد ولدت لتكون ملكا ، ايها الامير اموبا . الامر ليس بارادتك . ومصلحة الشعب تقتضى الاطاحة بامازيس ، وان يرتقى العرش الملك الشرعى »

ثم واصل كلامه بابتســـــامة : « انا لا اعتقد انك احضرت مايسه ، عبر هذا الطريق الطويل وكل هذة المخاطر ، لكى تتخلى عنها ! فانا اتصور من خلال ما

رايته فى الست شهور الأخيرة ان لديك خططا مختلفة تماما » .

قال اموبا بعد فترة صمت طويلة : « انت على صواب ، ياجيثرو . ان واجبى يملى على ان آخذ مكانى واحرر وطنى . ما هى فى رايك احسن خطة نتبعها ؟ »

ــ « لابد ان نمضى فى سيرنا عبر البلاد حتى نصل الى مدينة بالقرب من البحر . هناك يتحتم علينا ان نترك الفتاتين عند عائلة تاجر فارسى . وعندما نترك الفتاتين هناك نواصل رحلتنا . سنقابل كل رؤساء المدن والقرى ، وكل الناس الآخرين الذين لا يرضيهم الحكم الحالى الآثم . وهكذا نستطيع ان نجمع الكثير من الأعوان ونهاجم الملك . من المؤكد ان هناك العديد من الرفاق القدامى مازالوا على قيد الحياة . ينبغى الا تكون هناك صعوبات فى تجميع أكبر عدد من الرجال للسيطرة على المدينة على حين فجأة » .

كان جيثرو معروفا للعديد من الناس . واثناء تنقله

بين البلاد كان يخبرهم بانه قد استطاع الهروب من مصر وبصحبته اموبا .. ونجح فى اقناعهم بأن رفيقه ينتظر فى فارس حتى يستدعى ليأخذ مكانه كملك . وقد قوبلت أخباره هذه بكثير من الفرح والسعادة .

قال جيثرو : « انا اعتزم تكوين جيش من الرجال للقبض على امازيس البغيض ، بعد ذلك لن يبقى امامنا سوى المصريين كي نتعامل معهم » .

فى كل منطقة كان يمر بها جيثرو كان الشـــباب ينضمون الى جيشه . وصدرت لهم الأوامر بأن يلتزموا الهدوء التام وان يسلحوا انفسهم سرا . وان ينتظروا حتى تصل رسالة تخبرهم اين ومتى يتقابلون .

خلال ستة اســـابيع انضم للجيش ما يكفى من الرجال . وعلى هذا حــــدد لهم جيثرو اليوم الذى سيلتقون فيه بمنطقة التلال على بعد اميال قليلة من المدينة . وقام باستقبال كل فرقة عند وصولها وعين قادتها .

وبحلول المساء كانت كل الفرق قد وصلت . وتبين

لجيثرو انهم جميعا على اتم الاستعداد للقتال ومسلحين جيدا . فأمرهم بالاصطفاف ، ومن خيمته قدم لهم أموبا مليكهم .

ارتفعت الصيحات العالية من بين صفوف الرجال التى اختلت واندفع كل فرد منهم الى الامام ليلقى بنفسه تحت اقدام اموبا ، للترحيب به ملكا عليهم . واقسموا ان يتبعوه الى اى مكان يود أن يقودهم اليه .

خلال اسبوع كانت الخطط قد جهزت تماما . ووقع على جيثرو مهمة دخول المدينة نهارا ، بصحبة مائتى رجل مختارين ، بعضهم كان سيصل الى المدينة عن طريق البحر . والآخرون يدخلون المدينة فرادى من خلال بوابات المدينة ، على ان يلتقوا منتصف الليل فى ساحة مفتوحة امام القصر . اما أموبا وبقية الرجال ، فكان عليه أن يقترب من المدينة فى وقت متأخر من المساء ، وينتظر بالقرب من احدى البوابات .

تحرك رجال جيثرو أولا ، ودخلوا المدينة واحدا واحدا أو فى مجموعات تتكون من اثنين أو ثلاثة . أما

جيثرو نفســــه فقد كان آخر من تحرك بعد ان القى باوامره لكل مجموعة عندما انطلقت . كما إتفق معهم أيضا ، بأنهم اذا سمعوا صيحته فى اى وقت ، تترد على لسان شخص او شخصين ، فعليهم أن يسارعوا اليه فورا .

ـ وقال عندما كان يخبر اموبا بالأوامر التى اصدرها :

« أنتم لا تعرفون ابدا ما يمكن ان يحدث . وانا على يقين بان كل رجل هنا مخلص لك ، لكن دائما ما يكون هناك شخص فاسد فى المجموعة . فكلمة عن غير قصد أو عراك مع احد رجال الملك ، قد تؤدى الى كشف رجالنا المسلحين » .

سارت الأمور على ما يرام . ودخل الرجال المدينة دون أن يلحظهم احد . اما أولئك الذين جائوا عن طريق البحر من اهل القرى المنتشرة على الشاطىء ، فقد تجمعوا فى جزء من المدينة بالقرب من البحر . فى حين أن الذين دخـــلوها فرادى من البوابات كانوا

يتجولون في ارجاء المدينة فرادى او كل اثنين معا ..
ولما كانت اسلحتهم مختفية تحت ملابسهم لم يلحظ احد
اي شيء . اما من لديهم أصدقاء في المدينة فقد توجهوا
اليهم .

توجه جيثرو على الفور الى بيت احد الأصدقاء ،
الذي بعث اليه برسالة من قبل . هناك ، كان يتلقى
الأخبار من وقت لآخر ، من قواده ، واطمان على ان
كل شيء يسير على ما يرام . وعلم كذلك ان انباء
وصول اموبا الى الوطن قد أثارت خوف أمازيس .
فقام هذا الصباح فقط بالقاء عدة شخصيات هامة في
السجن ، معروفة بصداقتها للملك الراحل .

أرسلت عدة فرق من رجال الملك للبحث عن اموبا ،
واتجهت الى الأماكن التي انتشرت فيها الأنباء بوصوله
اليها . كانت هذه انباء طيبة بالنسبة لجيثرو . فقد
اظهرت له أن الملك لا يتصور اى خطر بالنسبة للمدينة ،
مما أدى الى قلة عدد الرجال المقاتلين بالقصر .

حرص جيثرو على البقاء فى بيت صديقه حتى حلول الليل ، لأنه كان معروفا جدا فى المدينة . لكن عندما حل الظلام خرج الى الشوارع ، فاكتشف ان تغيرات كثيرة قد حدثت منذ ان كان هنا آخر مرة . فقد هدم المصريون تماما كل البيوت فى أحد اجزاء المدينة ، وبنوا مكانها بيوتا كبيرة للقائد المصرى وضباطه . كما بنى سور عال حول ذلك الجزء من المدينة ، يفصل بينه وبينها تماما .

علم جيثرو ان المصـــــريين عندما انتهوا من بناء السور ، غضوا الطرف عن مراقبة بوابات المدينـــــة القديمة . ووضعوا بعض الجنود لمراقبة البوابة التى تؤدى الى بيوتهم عبر السور الجديد .

فى حوالى التاسعة مساء كان كل شىء هادئا .. بعث جيثرو رسالة الى أموبا ، وطلب منه ان يدخل المدينة عبر البوابات التى لا يوجد عليهـــا حراس . عندئذ يمكنه تحريك رجاله بالقرب من سور المصريين ويهاجم البوابة عندما تصله الأوامر .

في الوقت المحدد توجه جيثرو الى البوابة المفترض ان يدخل منها اموبا . سرعان ما سمع ضجة خفيفة ، وبعد مضى عدة دقائق ظهر طابور طويل من الرجال عند البوابة ، يتقدمهم أموبا . شرح له جيثرو ما خططه، وترك صديقه مع اموبا ليدله على السور المصرى .

عاد جيثرو الى وسط المدينة حيث تجمع رجاله بنظام . وفى هدوء عبروا الساحة الى القصر الملكى . عندئذ اطلق جيثرو صيحته ، وعلى الفور اندفعت مجموعة مسلحة بالفؤوس الى الأمام ، وشرعوا فى تحطيم بوابة القصر الملكى الضخمة . عندما تعالت الضجة فى هدوء الليل ، تعالت صرخات الدهشة والخوف من ضباط الملك بالداخل . وسرعان ما تسلق السور رجال الحرس وبدأت الرماح تتساقط على رجال جيثرو . فى ذلك الوقت كانت بوابة القصر قد تحطمت تقريبا . بعد خمس دقائق من بداية الهجوم ، اندفع جيثرو على رأس رجاله من خلال البوابة المحطمة .

حاول الجنود فى الداخل بقيادة امازيس نفسه ان

يوقفوهم . لكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلا امام الهجوم الشرس لرجال جيثرو لانهم اخذوا على حين غرة ، ونصف مسلحين . شق جيثرو طريقه وسط جموع الرجال المتقاتلة وهاجم امازيس . قاتل امازيس بشراسة فى ثورة غضبه وجنونه ، لكن سرعان ما أنهت فاس جيثرو الثقيلة القتال .. فقد سقط جسد امازيس دون راس على الأرض فى بحر من الدماء .

الفصـــل الثلاثون

عـــاش المـــلك

لم يلاحظ أحد موت امازيس وسط الظلام والفوضى حتى صاح جيثرو لرجاله أن يتوقفوا عن الهجوم . . وطلب من جنود الملك أن يلقوا باسلحتهم . **وصاح** : « لقد مات ملككم . عـــاش اموبا ملك الريبـــاس الشـرعى » .

ابتهج جنود امازيس ، واطاعوا الأمر ، لانهم كانوا لا يكنون حبا حقيقيا له .

وواصل جيثرو : « نحن لا نقاتل أهلنا . المصريون أعداؤنا فقط . من المحتمل أن بعضكم يعرفني : أنا جيثرو . هيا ، انضموا الينا وقاتلوا معنا ضد المصريين .. فمليكنا فى طريقه الآن لقتالهم .

لقد كان الخوف وليس الحب هو الدافع الذى جعل جنود أمازيس يقاتلون من اجله ، وعندما توقف جيثرو عن الكلام ارتفعت صيحات مثل « عاش أمويا ، ملكا للريباس ! » .

فأمرهم جيثرو : « انتظموا فى صفوفكم وراء ضباطكم واتبعونا . وما ان انتهى من كلامه حتى انضمت القوات الملكية الى قوات جيثرو . وبعد لحظات كانت القوات كلها تسير تحت قيادته لمساعدة أمويا .

عندما وصلوا الى السور الذى يفصل المصريين عن باقى سكان المدينة ، علم جيثرو ان امويا قد دخل المدينة بسهولة . وتم الاستيلاء على مبنين او ثلاثة بجوار البوابة ، ولم يحدث اى تقدم فيما بعد ذلك .. فوجىء المصريون فى البداية ، لكنهم سرعان ما استجمعوا قواهم لكى يقاتلوا . واستطاعوا برماحهم أن يوقفوا تقدم الريباس .

أمر جيثرو رماة السهام بتسلق السور ، ورمى نوافذ الأبنية المصرية ، ثم مضى مع الآخرين وانضم لأمويا .

قال : « لقد ســـــار كل شيء على مايرام . تم الاستيلاء على القصـــــر الملكي ، وامازيس قتل ، لم أستطع فعل اى شيء اكثر من ذلك الليلة . وللعلم فان عدد المصريين يفوق عددنا مرتين ، ولا يمكن لنا ان نهزمهم فى قتال مباشر . سوف أبعث برسائل الى كل رؤســـاء المدن المجاورة اخبرهم فيها بأن امازيس البغيض قد قتل . وعندما يعرفون ان ، الملك هو انت الآن ، وان المصريين محاصرون فى الجزء الخاص بهم فى المدينة ، فســـوف يزحفون الى هنا بكل الرجال القادرين على حمل السلاح . خلال ثلاثة ايام سيكون لدينا عشرون الف رجل . وسيسعد المصريون لطلب السلام » .

فى الصباح أمر أموبا ، بوضـــــع بعض فروع الأشجار على سطح احد البنايات التى تم الاســـتيلاء عليها . وما ان راى المصريون ذلك حتى توقفوا عن رمى السهام . بعد ذلك صعد جيثرو فوق السطح . ودهش دهشة كبيرة لسماعه جيثرو يتحدث اليه بلغته .

« باسم الملك أموبا ، الحاكم الشرعى للريباس ، أدعوك انا ، جيثرو قائد قواته ، أن تلقوا باسلحتكم . لقد مات امازيس ، والبلد كلها قد انتفضت ضدكم ، ان جيشنا يفوق جيشكم بكثير . واذا واصلتم القتال ، فهذا معناه الموت لكل المصريين الذين معك . وبامكاننا اذا أردنا أن نترككم تموتون جوعا ، لاننا نسيطر على كل الطرق التى تمدكم بالغذاء » .

وواصل جيثرو كلامه : « لن تصلكم اى مساعدة ، ولا يمكن أن تبعثوا برسائل لنقط المراقبة التابعة لكم فى السهل ، وأقرب عون لكم على بعد مئات الأميال . لقد عاش مليكنا فى بلدكم . ويعلم قوة وعظمة امتكم ، وهو يبغى صداقتها ، ولهذا ، فهو سوف يسمح لكم بالرحيل دون خزى . كما أن الجزية التى اجبرنا ملككم على دفعها كل عام فهى مبلغ كبير جدا ، ورغم ذلك سوف يرسل ملكنا كل عام ما يساوى ربع هذا المبلغ ذهبا . امامكم فرصة حتى صباح الغد حتى تفكروا فى العرض . لو تم رفضه ، فســـــوف يقتل كل جندى مصرى ! » .

نزل جيترو من فوق السطح وترك المصـــريين يفكرون فى عرض الملك .

عند الظهيرة ، بدأ الرجال المحاربون فى الوصول. توافدت المجموعات بشكل منظم من كل المدن . كما جاء الصيادون والفـــلاحون والرعاة من كل القرى فرادى عندما وصلتهم الأنباء . بحلول المساء كان قد وصـــل عشـرة آلاف رجل ، ظل المصريون صامتين طوال اليوم .. كان أمويا على أمل كبير بأن يقبلوا عرضه . علما بأن رجاله ظلوا على اســــتعداد للهجوم فى جميع الأحوال .

فى الصباح صعد جيترو وأمويا الى سطح المبنى الذى تحدث منه جيترو فى اليوم السابق .

بعد مضى عدة دقائق ظهر القائد المصرى وبعض الضباط على السطح المبني المقابل . قال جيترو بصوت مرتفع يسمع لهم جميعا بســماعه : « هذا هو الملك أمويا ، وهو هنا ليسمع ردكم » .

فقال القائد المصرى : « نحن على استعداد لمغادرة

بلدكم ، على ان نحمل أسلحتنا معنا . ويجب أن يكون مفهوما اننا نغادر بكرامتنا ، وليس كجيش منهزم .. ونحن نستطيع ، اذا رغبنا ، أن نقاتل ونشق طريقنا ».

فقال أموبا : « بامكانكم ان تفكروا فى ذلك اذا رغبتم »

دهش القائد المصرى جدا لسماع الملك وقائده يتكلمان باللغة المصرية .

« ولابد أن تكونوا شجعانا للغاية حتى تحاولوا ذلك، لكنكم ستقتلون جميعا . لا يمكنكم السيطرة على البلاد ، والشعب جميعه ضدكم . ولذلك فانه من الأفضل لكم بالتأكيد ، أن تغادروا البلاد بكرامتكم دون أن تفقدوا حياتكم ! »

قال القائد المصرى : « لقد تكلمت من المال الذى وعدت بان تدفعه لمليكنا ـ لكنى لا أملك سلطة تقرير ذلك » .

قال أموبا : « انا اتفهم ذلك .. لكنى آمل ،

ياسيدى ، وقد رأيت بنفسك مدى فقر دولتنا ، أن تقنع الملك بالموافقة . واعدك بأن المال سوف يدفع » .

خلال ساعة كان الجيش المصرى على استعداد للرحيل من المدينة : حمل كل رجل طعاما يكفيه اسبوعا كما امر أموبا بامدادهم بالمواد الغذائية فى كل مكان يتوقف فيه الجيش بأرضهم .

وفى نظام تام خرج المصريون من المدينة . مروا خلال شوارع المدينة ، حيث كانت الجماهير تطلق صيحات الفرح لمشاهدتهم يرحلون .

ولم يكد آخر جندى مصرى يمر من بوابة المدينة ، حتى هبط الجنود من فوق الاسوار وهم يهللون من الفرح . ثم بدأ احتفال كبير فى ساحة المدينة .

كانا أموبا قد بعث برسالة الى مايسـه وروث يخبرهما بانتصارهم . ثم ترك جيثرو ، الذى عينه حاكما للمدينة ، ليواصل حكم البلاد باسمه .

انطلق هو وشيبرون لاحضار الفتاتين الى المدينة . لكنه لم يسافر كتاجر هذه المرة ، بل كملك .

اصطحب معه عشرين من الشخصيات الهامة فى الريباس فى عرباتهم ، ومجموعة مسلحة من الفرسان . وكان يســـــتقبل بالهتفات واتلرحاب فى كل مدينة يمر بهـــا .

سرعان ما وصل الى المدينة التى تقع على شاطىء البحر حيث ترك الفتاتين . وهناك استقبل من كل زعماء المنطقة المحيطة، استقبال البطل المخلص من المصريين ، ثم أخذ طريقه الى بيت التاجر الفارسى الذى تعيش فيه الفتاتان . عندما توقفت المربة عند الباب ، خرج التاجر الفارسى ، وانحنى حتى لامس الأرض .

دخل اموبا وشييرون البيت واتجها الى حجـــرة الفتاتين . كانتا واقفتين نصف خائفتين فى أحد أركان الحجرة . وانحنت الفتاتان انحناءة خفيفة عند دخوله . توقف أموبا مندهشا . فلقد نسى للحظة بأن الرجل الذى كان عبدا لمايســه ذات يوم أصبح الآن ملكا لدولة قوية .

ــ « أهذه أختك ياشيرون التى تحيى صــديقها القديم ؟ هل أنا نفس الشخص أم انسان آخر ؟ »

فقالت مايسه بنصف ابتســامة ودموع الفرح فى عينيها : « انت الملك اموبا » .

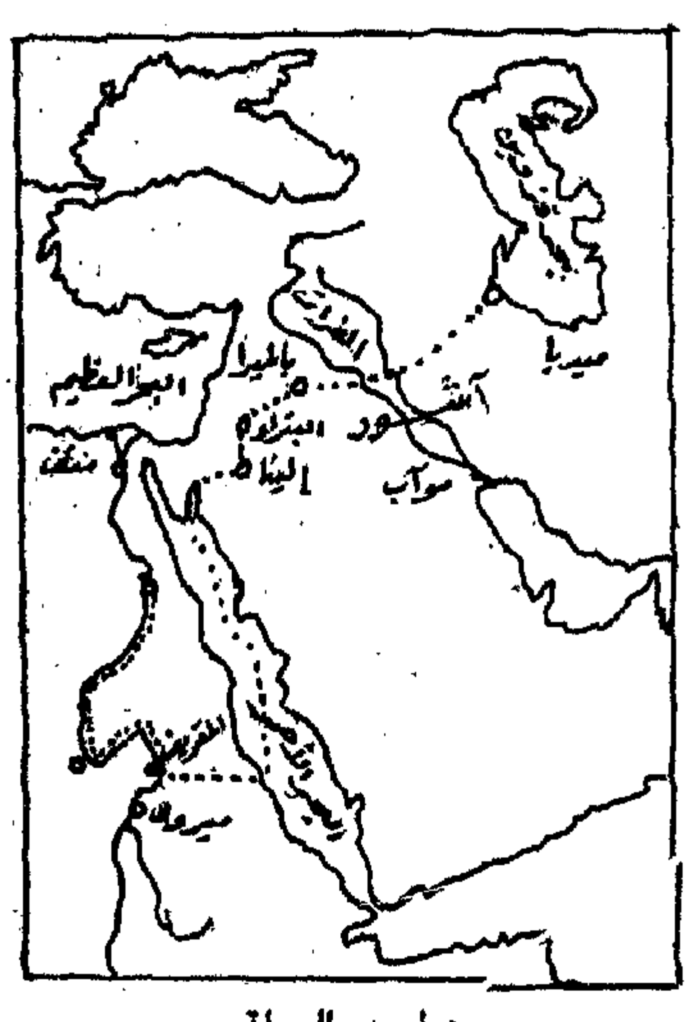
ــ « هذا صحيح الى حد كبير ، يا مايســـه ، ودائما ما كنت اميرا ، رغم اننى كنت عبدا ، كما تعرفين .. لذا فليس هناك ما يدعو للدهشة فى ذلك ؟ »

قالت مايسه : « هناك فرق كبير ، وطالما هناك فرق فى المرتبة ، فمن الواجب أن .... »

فقال اموبا وهو يخطو نحـــوها ويأخذ بيدها : ان هذا الفرق لن يستمر طويلا . ذلك أن شيرون ، اخاك ، والذى هو أكثر من أخ لى ، قد وافق ـــ والامر يتوقف عليك أيضا ـــ عما اذا كنت ستوافقين على أن تكونى ملكة الريناس وزوجتى . وبالتأكيد لن تلقى منى كل البهجة لو قلت لا ؟ »

بالطبع لم تقل مايسه ، لا ، وبعد ستة أسابيع تم الزواج الملكى بالمدينة . فى نفس الوقت كان هناك زواج آخر ، فقد تزوج شيبرون من روث . .

. هكذا تسبب السهم الذى قتل قطة بوباسطس المقدسة ، فى سعادة الاصدقاء الخمسة بدلا من الحزن . . فلو لم يصب ذلك السهم فرع الشجرة ، لما غادرت مايسه وشيبرون ارض مصر ابدا ، ولما وجدوا السعادة فى بلد آخر ، ولظل أموبا وجيثرو عبدين فى مصر ، ولا اصبح احدهما ملكا والثانى القائد العام لجيش الريباس ، ولا اصبحت روث الزوجة السعيدة لشيبرون وام اطفاله .



خط سير الرحلة

الفهرس

٢٠٠٣-١٣٨٩٦
I.S.B.N 977-01-8732-1



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الابداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الابداع والفكر زاداً معرفياً للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية.

سوزان مبارك

السعر
١٠٠ قرش

الهيئة المصرية العامة للكتاب